السّيرة النّبويّة من القرآن الكريم

الفترة المدنيّة

الجزء الثّالث

من الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام حَتَّى وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

بقلم

الدّكتور حسن محمّد باجودة

أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة

جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

وقفٌ على معهد الدّراسات القرآنيّة للبنات

بمكّة المكرّمة

العنوان : ١٣ شارع الحضارة – الرّصيفة

خلف مسجد الأمير أحمد – مكّة المكرّمة

ص . ب ٩٥٠٩

المملكة العربيّة السّعوديّة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمدلله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا السّفر عن السّيرة النّبويّة من القرآن الكريم، للفترة المدنيّة، من الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام حتّى وفاة النّبيّ ﷺ، هو الجزء الثالث في الفترة المدنيّة والأخير، وهو كذلك آخر الأسفار الأربعة جميعاً، فقد سبق الأسفارَ المدنيّةَ الثّلاثةَ سفرٌ يتعلّق بالفترة المكّيّة.

وهذا السِّفر الأخير يشتمل على أربع قصائد عدد أبياتها ٣٦٩٤ ثلاثة آلاف وستّمائة وأربعةٌ وتسعون بيتاً، إضافةً إلى هذه الرّباعيّة الّتي ختمت بها السّيرة النّبويّة العطرة، على صاحبها أفضل الصّلاة وأتمّ السّلام:

يكونُ إلهِي قد أَجابَ دُعائِي
لِأَنْظِمَ في الهادِي عُقُودَ ثناء
وما كُتِبَتْ تلك العُقُودُ بِمائي[1]
ولابِدُمُوع العَيْنِ بل بِدمائي

وبذلك يكون عدد أبيات الجزء الثالث من الفترة المدنيّة ٣٦٩٨ ثلاثة آلاف وستّمائة وثمانيةً وتسعين بيتاً. ولله تعالى الحمد والمِنّة.

ومن معالم هذا السِّفر أنّه اشتمل على قصيدةٍ عنوانها: القصيدة الألفيّة في سيرة خير البريّة، وتقع في ١٣٥٢ ألف وثلاثمائة واثنين وخمسين بيتاً في بحر الخفيف، وهي القصيدة السّابِعَةُ والثّلاثون ومطلعها:

سِيرَةُ المصطفى سِراجٌ أَضاءَ ∴ أَبْدَلَ الكَوْنَ من ظَلامٍ ضِياءَ

---

[1] بمائي: بعرقي.

وسبق هذا الجزء الثّالث في الفترة المدنيّة جزآن اثنان، وجزءٌ خاصٌّ بالفترة المكّيّة. فمجموع الأجزاء أو الأسفار أربعة.

الجزء الثّاني من الفترة المدنيّة يشتمل على ستّ قصائد عدد أبياتها ٢٨٤٩ ألفان وثمانمائة وتسعة وأربعون بَيْتاً.

الجزء الأوّل من الفترة المدنيّة يشتمل على ستّ قصائد عدد أبياتها ٢٧٠٨ ألفان وسبعمائة وثمانية أبيات.

الجزء الخاصّ بالفترة المكّيّة يشتمل على اثنتين وعشرين قصيدة عدد أبياتها ٢٥١٤ ألفان وخمسمائة وأربعة عشر بيتاً إضافةً إلى هذه الرّباعيّة:

وأسأل ربّي أن يبارِكَ في العُمْرِ
لِأنْظِمَ في المختارِ عِقْداً من الزُّهْرِ
فإنّ غِذاء الرُّوح في سُوَر الذِّكْر
وفي سِيرَةِ المختارِ تَعْبَقُ كالزَّهْر

وبذلك يكون عدد أبيات الثّمان والثّلاثين قصيدةً والرُّباعيّتين: أحد عشر ألفاً وسبعمائة وثلاثةً وسبعين بَيْتاً. ولله تعالى الحمد والمنّه.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يثيب عليه، إنّه جوادٌ كريم. ﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون. وسلامٌ على المرسلين. والحمد لله ربّ العالمين﴾ وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكّرمة
صبيحة يوم الخميس
١٤٢٩/٣/١٢هـ
الموافق ٢٠٠٨/٣/٢٠م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

٢٥- الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام

الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام هو الرّكنُ الخامس من أركان الإسلام. وإلى هذا الرّكن أشار قوله عزّ من قائل في سورة آل عمران[١]:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، إنّ أوّل بيتٍ وُضع للنّاس لعبادة الله تعالى في الأرض لَلْبَيْتُ الّذي بمكّة المكرّمة مباركاً، فما أكثر خيراته، وهدىً للعالمين إلى يوم الدّين. وبكّة من أسماء مكّة المكرّمة[٢] وسميّت مكّة بكّة لأنّها تبكّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم[٣] أيّ تدقّها[٤] وتلويها[٥] روى مسلمٌ في صحيحه[٦] عن أبي ذرٍ ﷺ قال: قلت: يارسول الله أيّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض أوّل[٧] قال: المسجد الحرام. قلت: ثمّ أيّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. وأينما أدركتك الصّلاةُ فَصَلِّ فهو مسجد.

---

[١] الآيتان ٩٦و٩٧.

[٢] انظر– مثلاً– تفسير ابن كثير ٦٤/٢ ومعجم البلدان:"بكّة" .

[٣] مفردات الرّاغب الأصفهاني" بكت" ٧٣/١.

[٤] الجلالين وتفسير ابن كثير ٦٤/٢.

[٥] معجم البلدان:"مكّة".

[٦] ٣٧٠/١ حديث رقم ٥٢٠ وانظر فتح الباري ٤٠٧/٦ حديث رقم ٣٣٦٦.

[٧] أوّل، بضمّ اللّام، وهي ضمّة بناء لقطعه عن الإضافة مثل قبل وبعد. والتّقدير أوّل كلّ شيء. ويجوز الفتح مصروفاً فتح الباري ٤٠٨/٦.

فيه آياتٌ بيّناتٌ، وعلاماتٌ واضحات، ودلالات ظاهرات أنّه من بناء إبراهيم، وأنّ الله تعالى عظّمه وشرّفه[1] فمنهنّ مقام إبراهيم[2] والمقام في اللّغة: موضع القدمين. واختلف في تعيين المقام على أقوال، أصحّها أنّه الحَجَر الّذي تعرفه النّاس اليوم الّذي يصلّون عنده ركعتي طواف القدوم. وهذا قول جابر ابن عبدالله وابن عبّاس وقتادة وغيرهم. وفي البخاري أنّه الحجر الّذي ارتفع عليه إبراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة الّتي كان إسماعيل يناولها إيّاه في بناء البيت وغرقت قدماه فيه. قال أنس: رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه، غير أنّه أذهبه مسح النّاس بأيديهم[3] ومن دخل الحرم كان آمناً، فقد أطعم الله تعالى جيران بيته الحرام من جوعٍ وآمنهم من خوف.

ولله تعالى على النّاس أجمعين حجّ البيت الحرام وقصده وزيارته لمن استطاع إليه سبيلاً. ومن كفر بالله تعالى وكفر بالحجّ وأنكر أنّه أحد أركان الإسلام فقد كفر والله تعالى غنيٌّ عنه وعن العالمين أجمعين وعن كلّ المخلوقات، فلاتزيد في ملكه عزّ وجلّ طاعة الطّائعين، ولاتنقص من ملكه عزّ وجلّ معصية العاصين.

واتّفق الفقهاء على أنّه يشترط لوجوب الحجّ الشّروط الآتية:

١- الإسلام ٢- البلوغ ٣- العقل ٤- الحرّيّة ٥- الاستطاعة.

وتتحقّق الاستطاعة بما يأتي:

١- أن يكون المكلّف صحيح البدن ٢- أن تكون الطّريق آمنة، بحيث يأمن الحاجّ على نفسه وماله ٣و٤-أن يكون مالكاً للزّاد والرّاحلة.

---

[1] انظر تفسير ابن كثير ٢/٦٥.

[2] تفسير ابن كثير ٢/٦٥.

[3] انظر تفسير القرطبي ٤٩٨ وانظر فتح الباري ٨/١٦٩.

والمعتبر في الزّاد أن يملك مايكفيه ممّا يصحّ به بدنه، ويكفي من يعوله كفايةً فاضلةً عن حوائجه الأصليّة، من ملبس، ومسكن، ومركب، وآلة حرفةٍ حتّى يؤدّي الفريضة ويعود.

والمعتبر في الرّاحلة أن تمكّنه من الذّهاب والإياب، سواءٌ أكان ذلك عن طريق البرّ أم البحر أو الجوّ. وهذا بالنّسبة لمن لايمكنه المشي لبعده عن مكّة. فأمّا القريب الّذي يمكنه المشي فلايعتبر وجود الرّاحلة في حقّه لأنّها مسافةٌ قريبةٌ يمكنه المشي إليها[1].

والمختار لدى جمهور العلماء أنّ إيجاب الحجّ كان سنة ستّ بعد الهجرة، لأنّه نزل فيها قوله تعالى[2]:﴿ وأتمّوا الحجّ والعمرة لله﴾ وهذا مبنيٌّ على أنّ الإتمام يراد به ابتداء الفرض[3].

ورجّح ابن القيّم أنّ افتراض الحجّ كان سنة تسع أو عشر[4] .

وقد تحدّثت سورة البقرة المدنيّة الكريمة عن الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام في الآيات الكريمات من السّادسة والتّسعين بعد المائة، إلى الآية الكريمة الثّالثة بعد المائتين.

وهذه هي الآيات الكريمات والتّفسير الموجز لها. قال تعالى:

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن

---

[1] فقه السّنّة ١/٥٣٠ و٥٣١.

[2] سورة البقرة١٩٦.

[3] فقه السّنّة ١/٥٢٧.

[4] فقه السّنّة ١/٥٢٧.

تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣ ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، وأتمّوا الحجّ والعمرة إذا شرعتم فيهما، لله تعالى وحده لاشريك له، ولإفراده عزّ وجلّ، وليس من أجل التّفاخر وذكر أمجاد الآباء والأجداد. يقول ابن عبّاس: من أحرم بحجّ أو بعمرة فليس له أن يحلّ حتّى يتمّها. تمام الحجّ يوم النّحر إذا رَمَى جمرة العقبة وزار البيت فقد حلّ من إحرامه كلّه. وتمام العمرة إذا طاف بالبيت وبالصّفا والمروة فقد حلّ[1] فإن

[1] تفسير الطبري ٢/١٢٠.

أحصرتم ومنعتم من الوجه الّذي تقصدونه بالعوائق جملة وبأيّ عذرٍ كان مِنْ حَصْر عدوّ أو جور سلطان أو مرض[٢] علماً بأنّ الآية الكريمة نزلت في سنة ستّ في عمرة الحديبية حين صدّ المشركون رسول الله ﷺ عن مكّة[٣] فالواجب أو فعليكم[٤] ماتيسّر[٥] من الهدي الّذي يختصّ بما يهدي إلى البيت الحرام[٦] وماستيسر من الهدي عند جمهور أهل العلم شاة[٧] قال ابن عبّاس: شاة[٨] وهو مذهب الأئمّة الأربعة[٩] ويقول أبوحيّان[١٠]:" والجمهور على أنّه يحلّ حيث أحصر وينحر هديه إن كان ثمّ هدي ويحلق رأسه".

﴿ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ ﴾ الخطاب لجميع الأمّة، مُحْصَر ومُخَلَّى. ومن العلماء من يراها للمحصرين خاصّة، أي لاتتحلّلوا من الإحرام حتّى ينحر الهدي[١١] ولاتحلقوا رءوسكم حتّى تعلموا أنّ الهدي الّذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محلّه، أي المكان الّذي يجب نحره فيه[١٢] وقال مالك بن أنس: بلغني أنّ رسول الله ﷺ حلّ وأصحابه بالحديبية فنحروا الهدي وحلقوا رءوسهم وحلّوا من كلّ شيءٍ قبل أن يطوفوا بالبيت وقبل أن يصل إليه الهدي.

---

[٢] انظر تفسير القرطبي ٧٤٤.

[٣] انظر تفسير القرطبي ٧٤٦.

[٤] تفسير القرطبي ٧٥١.

[٥] الجلالين.

[٦] مفردات الرّاغب الأصفهاني:"هدي" ٧٠٤/٢.

[٧] تفسير القرطبي ٧٥١.

[٨] تفسير ابن كثير ٣٣٦/١.

[٩] تفسير ابن كثير ٣٣٦/١.

[١٠] البحر المحيط ٧٣/٢.

[١١] تفسير القرطبي ٧٥٢.

[١٢] الكشّاف ٢٦٢/١.

ثمّ لم نعلم أنّ رسول الله ﷺ أمر أحداً من أصحابه ولاممّن كان معه أن يقضوا شيئاً ولا أن يعودوا لشيء[1] .

ثمّ تتحوّل الآية الكريمة الأولى إلى القضيّة الثّانية الّتي كانت سبب نزول الآية الكريمة. وإنّما تقدّم ذكر القضيّة السّابقة لعمومها وأهمّيّتها قياساً بالقضيّة الأخرى. روى الإمام البخاريّ في صحيحه[2] عن عبدالله بن مَعْقِل قال: قعدت إلى كعب بن عُجْرة في هذا المسجد –يعني مسجد الكوفة– فسألته عن﴿ فديةٌ من صيام﴾ فقال: حُمِلْتُ إلى النّبيّ ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: ماكنت أُرَى أنّ الجَهْدَ قد بلغ بك هذا . أما تجد شاة ؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيّام، أو أطعم ستّة مساكين لكلّ مسكين نصف صاعٍ من طعام، واحلق رأسك، فنزلت فيّ خاصّةً، وهي لكم عامّة.

فمن كان منكم مريضاً به مرضٌ يحوجه إلى الحلق[3] أو به أذىً من رأسه وألم[4] فعليه فديه. أو على الخبر أي فالواجب فدية[5] من صيام ثلاثة أيّام، أو صدقة بإطعام ستّة مساكين، أو نسك. والنّسك شاة بإجماع العلماء. ومن ذبح أفضل منها فهو أفضل[6] ولمّا كان لفظ القرآن في بيان الرّخصة جاء بالأسهل فالأسهل. ولمّا أمر النّبيّ ﷺ كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فالأفضل. فكلٌّ حسنٌ في مقامه. ولله الحمد والمنّة[1].

---

[1] تفسير الطّبري ١٢٥/٢ و ١٢٨.

[2] فتح الباري ١٨٦/٨ حديث رقم ٤٥١٧.

[3] الكشّاف ٢٦٢/١.

[4] البحر المحيط ٦٠/٢.

[5] البحر المحيط ٧٥/٢.

[6] انظر البحر المحيط ٧٦/٢.

[1] انظر تفسير ابن كثير ٣٣٨/١.

واختلف العلماء في موضع الفدية المذكورة فقال عطاء: ما كان من دمٍ فبمكّة، وما كان من طعامٍ أو صيامٍ فحيث شاء. وبنحو ذلك قال أصحاب الرّأي[٢].

﴿ فإذا أمنتم﴾ يقول أبوحيّان[٣]:" هذا الأمن مرتّب تفسيره على تفسير الإحصار، فمن فسّره هناك بالإحصار بالمرض لابالعدوّ جعل الأمن هنا من المرض لا من العدوّ. وهو قول علقمة وعروة. والمعنى: فإذا برئتم من مرضكم. ومن فسّره بالإحصار بالعدوّ لابالمرض قال هنا: الأمن من العدوّ لا من المرض. والمعنى: فإذا أمنتم من خوفكم من العدوّ. ومن فسّر الإحصار بأنّه من العدوّ والمرض ونحوه فالأمن عنده هنا من جميع ذلك" ومن الّذين رجّحوا أنّ الأمن خلاف الخوف وليس خلاف المرض الإمام الطّبري[٤] ونحن من الّذين يرون رأيه.

فإذا أمنتم فمن استمتع[٥] بالعمرة إلى الحجّ وإلى الإحرام به بان يكون أحرم بها في أشهره[٦] فعليه ما تيسّر من الهدي أوفاهدوا ماتيسّر من الهدي[٧].

وواضحٌ أنّ الآية الكريمة تتحدّث عن التّمتّع، وهو أحد أنواع النّسك. والنّوعان الآخران هما الإفراد بالحجّ وحده، والقِران أي الجمع بين الحجّ والعمرة معاً في نسكٍ واحد. وقد أشار القرطبيّ في تفسيره[١] إلى الشّروط الثّمانية للتّمتّع أو المتعة. وهي على النّحو التّالي:

الأوّل: أن يجمع بين الحجّ والعمرة.

---

[٢] تفسير القرطبي ٧٥٩.

[٣] البحر المحيط ٧٦/٢.

[٤] تفسير الطّبري ١٤٢/٢.

[٥] الجلالين.

[٦] الجلالين.

[٧] انظر معاني القرآن للفرّاء ١١٨/١.

[١] ص ٧٦٤.

الثّاني: في سفرٍ واحد.

الثّالث: في عامٍ واحد.

الرّابع: في أشهر الحجّ.

الخامس: تقديم العمرة.

السّادس: ألّا يمزجها، بل يكون إحرام الحجّ بعد الفراغ من العمرة.

السّابع: أن تكون العمرة والحجّ عن شخصٍ واحد.

الثّامن: أن يكون من غير أهل مكّة.

فمن لم يجد الهدي، إمّا لعدم المال أو لعدم الحيوان صام ثلاثة أيّام في الحجّ وسبعةً إذا رجع إلى بلده[٢] فعليه صيام ثلاثة أيّام في الحجّ، أو فواجبٌ عليه صيام ثلاثة أيّام[٣] وصيام سبعة أيّامٍ إذا رجع إلى أهله ومصره[٤].

تلك الأيّام الّتي يصومها المتمتّع عشرة أيّام كاملة.

ذلك الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصّيام على من تمتّع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام[٥] ويقول القرطبيّ[٦]:" واختلف النّاس في حاضري المسجد الحرام، بعد الإجماع على أنّ أهل مكّة وماتّصل بها من حاضريه. وقال الطّبري: بعد الإجماع على أهل الحرم. قال ابن عطيّة: – وليس كما قال– فقال بعض العلماء: من كان يجب عليه الجمعة فهو حضريّ. ومن كان أبعد من ذلك فهو بدويّ، فجعل اللّفظة من الحضارة والبداوة. وقال مالك وأصحابه هم أهل مكّة وما اتّصل بها خاصّة. وعند أبي حنيفة وأصحابه:

---

[٢] تفسير القرطبي ٧٧٢.

[٣] انظر البحر المحيط ٧٨/٢.

[٤] تفسير الطّبري ١٤٨/٢.

[٥] الجلالين.

[٦] تفسير القرطبي ٧٧٧ وانظر تفسير الطّبري ١٤٩/٢ و١٥٠.

هم أهل المواقيت ومن وراءها من كلّ ناحية. فمن كان من أهل المواقيت أو من أهل ما وراءها فهم من حاضري المسجد الحرام. وقال الشّافعيّ وأصحابه: هم من لايلزمه تقصير الصّلاة من موضعه إلى مكّة. وذلك أقرب المواقيت. وعلى هذه الأقوال مذاهب السّلف في تأويل الآية".

واتّقوا الله تعالى أيّها النّاس جميعاً في السّرّ والعلن، واعلموا أنّ الله تعالى شديد العقاب في الأولى والآخرة.

أشهر الحجّ أشهر، أو وقت الحجّ أشهر، أو وقت عمل الحجّ أشهر[١] ووصفت أشهر الحجّ بأنها معلومات، أي معروفاتٌ عند النّاس لايشكلن عليهم. وفيه أنّ الشّرع لم يأت على خلاف ماعرفوه وإنّما جاء مقرّراً له[٢] واختلف في الأشهر المعلومات. فقال ابن مسعود وابن عمرو وعطاء والرّبيع ومجاهد والزّهري: أشهر الحجّ شوّال وذو القعدة وذو الحجّة كلّه. وقال ابن عبّاس والسّدّي والشّعبيّ والنَّخَعِيّ: هي شوّال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجّة[٣]وفائدة الفرق تعلّق الدّم. فمن قال إنّ ذا الحجّة كلّه من أشهر الحجّ لم

ير دماً فيما يقع من الأعمال بعد يوم النّحر لأنّها في أشهر الحجّ. وعلى القول الأخير ينقضي الحجّ بيوم النّحر ويلزم الدّم فيما عمل بعد ذلك لتأخيره عن وقته[١] فمن فرض فيهنّ الحجّ وألزم نفسه الحجّ فيهنّ[٢] بالشّروع فيه بالنّيّة

---

[١] تفسير القرطبي ٧٧٨.

[٢] الكشاف ٢٦٣/١.

[٣] تفسير القرطبي ٧٧٨.

[١] تفسير القرطبي ٧٧٨.

[٢] البحر المحيط ٨٦/٢.

قصداً باطناً، وبالإحرام فعلاً ظاهراً، وبالتّلبيّة نُطْقاً مسموعاً[٣] ﴿ فلا رفث ولافسوق ولاجدال في الحجّ﴾ وإذا كان صور هذه الجمل الخبر، فإنّ معناها على النّهي[٤] والرّفث الجماع، أي فلا جماع لأنّه يفسده[٥] وقال قوم: الرّفث كلمة جامعةٌ لكلّ مايريد الرّجل من أهله[٦] وأجمع العلماء على أنّ الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسد للحجّ وعليه حجٌّ قابلٌ والهدي[٧] وأنّ مقدّماته توجب الدّم[٨] ﴿ولافسوق﴾ يعني جميع المعاصي كلّها. قاله ابن عبّاس وعطاء والحسن[٩] قال ﷺ: من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه. قال: والحجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلّا الجنّة. خرّجه مسلم وغيره[١٠] ﴿ولاجدال في الحجّ﴾ قال ابن مسعود وابن عبّاس وعطاء: الجدال هنا أن تماري مسلماً حتّى تغضبه فينتهي إلى السِّباب. وأمّا مذاكرة العلم فلا نهي عنها[١١] .

وماتفعلوا أيّها النّاس من خيرٍ يعلمه الله تعالى، فلا يخفى عليه عزّ وجلّ شيءٌ في الأرض ولا في السّماء.

وتزوّدوا لكلٍّ من السّفر إلى الحجّ بما تحتاجون إليه، فلاتكونوا عالةً على الآخرين، وإلى الله تعالى بفعل الطّاعات وتقوى الله تعالى. وإنّ خير مايتزوّد به

---

[٣] تفسير القرطبي ٧٧٩.

[٤] انظر البحر المحيط ٩١/٢.

[٥] تفسير القرطبي ٧٨٠.

[٦] البحر المحيط ٨٧/٢.

[٧] تفسير القرطبي ٧٨٠.

[٨] البحر المحيط ٩٢/٢.

[٩] تفسير القرطبي ٧٨٠.

[١٠] تفسير القرطبي ٧٨١.

[١١] تفسير القرطبي ٧٨٣.

الإنسان للآخرة تقوى الله تعالى. واتّقون يا أولي الألباب الخالصة، والعقول الرّاجحة.

ويلاحظ بشأن التّزوّد التّحوّل من المحسوس إلى ماهو أعلى منه وأفضل، وهو التّزوّد بالتّقوى.

روى البخاريّ عن ابن عبّاس قال: كان أهل اليمن يحجّون ولايتزوّدون ويقولون: نحن المتوكّلون. فإذا قدموا مكة سألوا النّاس فأنزل الله تعالى:﴿ وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى﴾ [1].

ليس عليكم أيّها النّاس جُناحٌ وإثم[2] أن تبتغوا في الحجّ فضلاً من ربّكم بالتّجارة[3] فإذا أفضتم واندفعتم[4] من عرفات، والوقوف بعرفات ركن الحجّ الأعظم، قال ﷺ: الحجّ عرفة. فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحجّ[5] فاذكروا الله تعالى عند المشعر الحرام ذكراً كثيراً. والمشعر الحرام هو قُزَح، وهو الجبل الّذي يقف عليه الإمام. قيل: وهو الصّحيح لحديث جابر أنّ النّبيّ ﷺ لمّا صلّى الفجر يعني بالمزدلفة بِغَلَس ركب ناقته حتّى أتى المشعر الحرام فدعا وكبّر وهلّل ولم يزل واقفاً حتّى أسفر[1] واذكروا الله تعالى ذكراً كثيراً كما هداكم إلى معالم دينه عزّ وجلّ، وإنّكم كنتم قبل الهدى لمن الضّالّين عن سواء السّبيل[2].

---

[1] تفسير القرطبي ٧٨٤ وانظر صحيح البخاري ١٦٥/٢ وفتح الباري ٣٨٣/٣ حديث رقم ١٥٢٣.

[2] تفسير القرطبي ٧٨٦.

[3] انظر تفسير القرطبي ٧٨٦.

[4] تفسير القرطبي ٧٨٧.

[5] الكشّاف ٢٦٥/١.

[1] البحر المحيط ٩٦/٢.

[2] انظر تفسير القرطبي ٧٩٩.

ثمّ أفيضوا يا أيّها الحُمْس[٣] والحمس بضمّ الحاء المهملة وإسكان الميم وبسين مهمله: هم قريش ومن ولدته قريش وكنانة وجديلة قيس. سمّوا حُمْساً لأنّهم تَحَمَّسوا في دينهم أي تشدّدوا[٤] روى التّرمذيّ عن عائشة قالت: كانت قريش ومن كان على دينها وهم الحُمْس يقفون بالمزدلفة يقولون: نحن قطين الله[٥] وكان مَنْ سواهم يقفون بعرفة. فأنزل الله تعالى الآية الكريمة[٦] ثمّ أفيضوا أيّها الحمس واندفعوا من حيث أفاض النّاس واندفعوا من عرفات، واستغفروا الله تعالى من ذنوبكم. إنّ الله تعالى غفورٌ رحيم.

فإذا قضيتم مناسككم وأدّيتم وفرغتم[٧] من أداء شعائر الحجّ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: خذوا عنّي مناسككم[٨] ومن عبادات حجّكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى[٩] فاذكروا الله تعالى بالتّكبير

والثّناء[١] ذكراً كذكركم[٢] آباءكم والتّفاخر بأمجادهم ومآثرهم من بسالة وكرم وغيرهما[٣] بل أشدّ ذكرا[٤] فمن النّاس، وهم المشركون[٥] من يقول ربّنا آتنا في

---

[٣] تفسير القرطبي ٨٠٠.

[٤] صحيح مسلم شرح الإمام النّووي ١٩٧/٨.

[٥] قطين الله أي سكّان حرمه والمفرد قاطن.

[٦] تفسير القرطبي ٨٠٠.

[٧] تفسير القرطبي ٨٠٣.

[٨] تفسير القرطبي ٨٠٣.

[٩] الجلالين.

[١] الجلالين.

[٢] تفسير القرطبي ٨٠٤.

[٣] انظر تفسير القرطبي ٨٠٣ وتفسير الطبري١٧٢/٢ والبحر المحيط ١٠٢/٢.

[٤] البحر المحيط ١٠٣/٢.

الدّنيا ومصالحها، ولا يطلبون الآخرة إذ كانوا لايعرفونها ولايؤمنون بها، فنهوا عن ذلك الدّعاء المخصوص بأمر الدّنيا[٦] وليس لهؤلاء في الآخرة من نصيب[٧] ولاحظّ[٨] .

ومن النّاس، وهم المؤمنون المتّقون من يدعو الله تعالى قائلاً:﴿ ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النّار﴾ فجمعت هذه الدّعوة كلّ خيرٍ في الدّنيا وصرفت كلّ شرّ. فإنّ الحسنة في الدّنيا تشمل كلّ مطلوبٍ دنيويّ، من عافية، ودارٍ رحبة، وزوجة حسنة، ورزقٍ واسع، وعلمٍ نافع، وعملٍ صالح، ومركبٍ هنيء، وثناءٍ جميل، إلى غير ذلك[٩] وحسنة الآخرة الجنّة بإجماع[١٠] وأمّا القول:﴿ وقنا عذاب النّار﴾:" فكأنّه دعاءٌ بدخول الجنّة أوّلاً دون عذاب، وأنّهم لايكونون ممّن يدخلون النّار بمعاصيهم ويخرجون منها بالشّفاعة"[١١] .

إنّ أولئك الّذين يسألون الله تعالى حسنة الأولى والآخرة والنّجاة من النّار لهم نصيبٌ ممّا كسبوا من الدّعاء الحسن والعمل الصّالح. والله تعالى سريع الحساب.

واذكروا الله تعالى ذكراً كثيراً في أيّام معدوداتٍ هي أيّام منى الأربعة، يوم النّحر، وهو اليوم العاشر، وأيّام التّشريق الثّلاثة، وهي أيّام الحادي عشر والثّاني

---

[٥] انظر تفسير القرطبي ٨٠٤.

[٦] تفسير القرطبي ٨٠٤.

[٧] تفسير الطّبري ١٧٤/٢ وتفسير القرطبي ٨٠٤.

[٨] تفسير ابن كثير ٣٥٥/١.

[٩] تفسير ابن كثير ٣٥٥/١.

[١٠] تفسير القرطبي ٨٠٥.

[١١] البحر المحيط ١٠٦/٢.

عشر والثّالث عشر. ويُرْمَى يوم النّحر جمرة العقبة وَحْدَها. ويرمى في الأيّام الثّلاثة التّالية الجمرات الثّلاث ابتداءً بالجمرة الصّغرى. وتُرْمَى كلّ جمرة بسبع حصيات. فمن تعجّل في يومين اثنين من أيّام التّشريق فنفر من منى، فلا إثم عليه، ومن تأخّر في ثلاثة أيّام التّشريق وأتمّ فلا إثم عليه لمن اتّقى الله تعالى وراقبه عزّ وجلّ في السّرّ والعلن[1] واتّقوا الله تعالى أيّها النّاس واعلموا أنّكم إليه تحشرون جلّ وعلا وترجعون يوم القيامة للجزاء والثّواب أو العقاب.

وقد بعث الله تعالى محمّداً ﷺ بالحنيفيّة السّمحة دين إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، وبالصّورة الأخيرة الكاملة من هذه الحنيفيّة السّمحة. ومن الآيات الكريمات الّتي أشارت إلى ذلك الآية الكريمة الثّالثة والعشرون بعد المائة من سورة النّحل المكّيّة الكريمة[2] قال عزّ من قائل:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، ثمّ أوحينا إليك يامحمّد أن اتّبع ملّة إبراهيم عليه السّلام حنيفاً مائلاً عن الضّلال إلى الاستقامة عمداً، وعن الشّرك إلى التّوحيد قصداً[1] وما كان إبراهيم عليه السّلام من المشركين، بل من الموحّدين. والمعروف أنّ عصر إبراهيم عليه السّلام يسبق ميلاد عيسى عليه السّلام بثمانية عشر قرناً[2] وبالتّالي يكون عصر إبراهيم عليه السّلام يسبق ميلاد محمّد عليه الصّلاة والسّلام بِحوالي أربعةٍ وعشرين قرناً.

---

[1] انظر تفسير القرطبي ٨٠٩-٨٢٢.

[2] الإتقان ٤٣/١.

[1] انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني :"حنف" ١٧٦/١.

[2] القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاي ص ٥٠ دار المعارف ١٩٧٩.

وكلّ خيرٍ ورثته البشريّة إنّما هو عن رسل الله تعالى، وكلّ خيرٍ ورثه العرب إنّما هو عن إبراهيم عليه السّلام، أبي الأنبياء، عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه. وممّا ورثه العرب عن إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام، وهو الرّكن الخامس من أركان الإسلام، وقد تحدّثت سورة الحجّ المدنيّة[٣] الكريمة عن الحجّ الّذي أمر الله تعالى إبراهيم عليه السّلام أن يؤذّن في النّاس به، وأن يؤمّ النّاس فيه. وماجاء في سورة الحجّ الكريمة عن حجّ إبراهيم عليه السّلام هو الّذي فعله محمّدٌ ﷺ في حجّة الوداع. وبفضل الله تعالى عاد الحجّ على عهد محمّدٍ ﷺ إلى الصّورة الصّافية النقيّة الصّحيحة الّتي كانت على عهد إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام. وهذه هي الآيات الكريمات في الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام الّتي جاءت في سورة الحجّ المدنيّة الكريمة. قال عزّ من قائل[٤]:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

---

[٣] الإتقان ١/٤٣.

[٤] سورة الحجّ ٢٦-٣٧.

ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

المعنى، والله تعالى اعلم، واذكر يامحمّد[1] إذ بيّنّا لإبراهيم[2] مكان البيت وسوّيناه له[3] ووطّأنا له[4] وأرشدناه إليه، وسلّمناه له، وأذنّا له في بنائه[5] والمراد بالبيت الكعبة[6] المشرّفة. وأمرناه ألّا تشرك بي شيئاً[7] وطهّر بيتي من الشّرك وعبادة الأوثان[1] للطّائفين به[2] والقائمين المصلّين الّذين هم قيامٌ في صلاتهم[3] والرّكّع السّجود في صلاتهم حول البيت[4] .

---

[1] تفسير الطّبري ١٠٥/١٧ والجلالين.

[2] الجلالين.

[3] مفردات الرّاغب الأصفهاني :"بواء" ٨٩/١.

[4] تفسير الطّبري ١٠٥/١٧.

[5] انظر تفسير ابن كثير ٤٠٩/٥.

[6] تفسير الطبري ١٠٦/١٧.

[7] الجلالين.

[1] تفسير الطّبري ١٠٦/١٧.

[2] تفسير الطّبري ١٠٦/١٧.

[3] تفسير الطّبري ١٠٦/١٧.

[4] تفسير الطّبري ١٠٦/١٧.

وناد في النّاس أن حجّوا أيّها النّاس بيت الله الحرام[٥] يأتوك مشاةً على أرجلهم[٦] وركباناً على كلّ ضامرٍ من الإبل المهازيل[٧] وخفيف اللّحم[٨] وعلى كلّ بعيرٍ مهزول. وهو يطلق على الذّكر والأنثى[٩] يأتين من كلّ طريقٍ[١٠] بعيد[١١] ومكانٍ[١٢] ناءٍ وفجٍّ بين جبلين واسع[١٣].

ليشهدوا منافع لهم. عن ابن عبّاس: منافع الدّنيا والآخرة[١٤] ومن منافع الدّنيا التّجارة[١٥] وليذكروا اسم الله تعالى بالتّهليل والتّكبير والتّلبية وسائر الذّكر في أيّام معلومات. عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: الأيّام المعلومات أيّام العشر[١٦]من شهر ذي الحجّة، وكي يذكروا اسم الله على مارزقهم من الهدايا والبدن الّتي أهدوها من الإبل والبقر والغنم[١] فكلوا منها إن شئتم. وهذا الأمر من الله جلّ ثناؤه أمر إباحةٍ لاأمر إيجاب[٢] وأطعموا البائس الّذي به ضرّ الجوع والزّمانة[٣] والحاجة[٤] والفقير الّذي لاشيء له[٥].

---

[٥] تفسير الطّبري ١٠٦/١٧.

[٦] تفسير الطّبري ١٠٦/١٧ و١٠٧.

[٧] تفسير الطّبري ١٠٦/١٧.

[٨] مفردات الرّاغب الأصفهاني:"ضمر" ٣٩٠/٢.

[٩] الجلالين.

[١٠] تفسير ابن كثير ٤١٠/٥.

[١١] تفسير الطّبري ١٠٧/١٧ وتفسير ابن كثير ٤١٠/٥ والجلالين.

[١٢] تفسير الطّبري ١٠٧/١٧.

[١٣] مفردات الرّاغب الأصفهاني :"فجج" ٤٨٢/٢.

[١٤] تفسير ابن كثير ٤١٠/٥.

[١٥] تفسير الطّبري ١٠٨/١٧.

[١٦] تفسير ابن كثير ٤١١/٥.

[١] تفسير الطّبري ١٠٩/١٧ وتفسير ابن كثير ٤١٢/٥.

[٢] تفسير الطّبري ١٠٩/١٧.

[٣] الزّمانة، بفتح الزّاي: مرضٌ يدوم.

ثمّ ليقضوا تفثهم أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظّفر[٦]وعن ابن عبّاس:يعني بالتّفث وضع إحرامهم من حلق الرّأس ولبس الثّياب وقصّ الأظفار ونحو ذلك[٧] وليوفوا الله بما نذروا من هَدْيٍ وبدنة وغير ذلك[٨] وليطّوّفوا بالبيت العتيق أي القديم[٩] أو الّذي أعتقه الله تعالى من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه[١٠] والمراد طواف الإفاضة الّذي يطاف به بعد التّعريف[١١] إمّا يوم النّحر وإمّا بعده. لاخلاف بين أهل التّأويل في ذلك[١٢] ويُسَمَّى طواف الزِّيارة[١٣] أي زيارة البيت[١٤] والطّواف الواجب[١٥] .

الأمر أو الشّأن ذلك المذكور[١] ﴿ ومن يعظّم حُرُماتِ الله﴾ ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها، وحرمه أن يستحلّها[٢] ﴿فهو خيرٌ له عند ربّه﴾ في الآخرة[٣] وأحلّ الله لكم أيّها النّاس

---

[٤] تفسير الطّبري ١٠٩/١٧.

[٥] تفسير الطّبري ١٠٩/١٧.

[٦] الجلالين.

[٧] تفسير الطّبري ١١٠/١٧.

[٨] تفسير الطّبري ١١٠/١٧.

[٩] تفسير الطّبري ١١١/١٧.

[١٠] تفسير الطّبري ١١٠/١٧.

[١١] التّعريف: الوقوف بعرفة.

[١٢] تفسير الطّبري ١١١/١٧.

[١٣] تفسير الطّبري ١١١/١٧.

[١٤] تفسير الطّبري ١١١/١٧.

[١٥] تفسير الطّبري ١١١/١٧.

[١] الجلالين.

[٢] تفسير الطّبري ١١١/١٧.

[٣] تفسير الطّبري ١١١/١٧.

الأنعام أن تأكلوها إذا ذكّيتموها[٤] ﴿إلّا مايتلى عليكم﴾ في كتاب الله، وذلك الميتة والدّم ولحم الخنزير ومأأهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنّطيحة ومأكل السّبع وما ذبح على النّصب[٥] فاجتنبوا الرّجس والشّيء القذر[٦] وهو الأوثان والأصنام[٧] واجتنبوا قول الزّور أي الشّرك بالله في تلبيتكم أو شهادة الزّور[٨] .

حنفاء لله تعالى وغير مشركين به، أي مخلصين له الدّين منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحقّ[٩]. ومَنْ يشرك بالله تعالى فكأنّما سقط من السّماء[١٠] فتخطفه الطّير وتقطّعه الطّير وتقطّعه الطّيور في الهواء[١١] أو تهوي به الرّيح وتطوّح به وترميه في مكانٍ بعيد[١٢].

الأمر أو الشّأن ذلك المذكور[١] ومن يعظّم شعائر الله تعالى وماجعله عزّ وجلّ أعلاماً لخلقه فيما تعبّدهم به من مناسك حجّهم من الأماكن الّتي أمرهم بأداء ماافترض عليهم منها عندها، والأعمال الّتي ألزمهم عملها في حجّهم من

---

[٤] تفسير الطّبري ١١٢/١٧.

[٥] تفسير الطّبري ١١٢/١٧.

[٦] مفردات الرّاغب الأصفهاني:" رجس " ٢٤٩/١.

[٧] انظر تفسير ابن كثير ٤١٥/٥.

[٨] الجلالين.

[٩] تفسير ابن كثير٤١٦/٥.

[١٠] تفسير ابن كثير ٤١٦/٥.

[١١] تفسير ابن كثير ٤١٦/٥.

[١٢] تفسير الطّبري ١١٣/١٧.

[١] الجلالين.

تقوى قلوبهم، لم يخصّص من ذلك شيئاً[٢] فإنّ فِعْلَ كُلِّ ذلك من تقوى القلوب الّتي في الصّدور وخشيتها الله تعالى.

لكم فيها منافع كركوبها والحمل عليها مالايضرّها[٣] وشرب لبنها، إلى أجلٍ مسمًّى ووقتٍ محدّد هو وقت نحرها[٤] ثمّ مكان حلّ نحرها[٥] إلى البيت العتيق، وأرض الحرم كلّها[٦].

ولكلّ أُمّة من أُمم النّبيّين السّابقين عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه، جعلنا منسكا وموضعاً تُذْبَح فيه النّسك[٧] والنُّسُك والنَّسيكة: الذّبيحة[٨] ليذكروا اسم الله تعالى شكراً له عزّ وجلّ على مارزقهم من بهيمة الأنعام، ومن البهائم ماليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير. وقيل إنّما قيل للبهائم بهائم لأنّها لاتتكلّم[٩] فإلهكم أيّها النّاس إلهٌ واحِدٌ لاشريك له، فله أسلموا وأفردوه وحده دون سواه بالخضوع والخشوع والعبادة. وبشّر المخبتين الخاشعين الخاضعين المتواضعين المطمئنّين[١٠] الّذين إذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم وخافت عذاب الله تعالى، والصّابرين على ماأصابهم في البأساء وشدّة الفقر، والضّرّاء وشدّة المرض، وحين البأس ووقت القتال، والمقيمي الصّلاة فرضها ونفلها بشروطها، والّذين ينفقون مما آتاهم الله تعالى.

---

[٢] تفسير الطّبري ١١٤/١٧.

[٣] الجلالين.

[٤] الجلالين.

[٥] الجلالين.

[٦] انظر تفسير الطّبري ١١٦/١٧.

[٧] انظر لسان العرب:"نسك"

[٨] لسان العرب:"نسك"

[٩] تفسير الطّبري ١١٦/١٧.

[١٠] انظر لسان العرب:"خبت"

والله سبحانه وتعالى جعل البدن من الإبل والبقر[١] من شعائر الله تعالى وأعلام دينه[٢] في مناسك حجّكم لكم فيها خيرٌ كثير ونفعٌ في الدّنيا وأجرٌ في العُقْبَى[٣] فاذكروا الله تعالى عند نحرها. قد صفّت قوائمها[٤] عن ابن عبّاس: قياماً على ثلاث أرجل[٥] معقولةً يدها اليسرى[٦] مستقبلةً البيت[٧] سئل ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما عن معنى قوله تعالى:﴿ فاذكروا اسم الله عليها صوافّ﴾فقال: إذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها وقل:الله أكبر. لاإله إلّا الله. اللّهمَّ منك ولك.ثمّ سَمِّ وانحرها. قلت: فأقول ذلك لِلْأُضْحِية قال: ولِلأضحية"[٨] فإذا سقطت فوقعت جنوبها إلى الأرض بعد النّحر[٩] فكلوا منها إن شئتم[١٠] وليس بأمر إيجاب[١١] وأطعموا القانع الّذي يقنع بما أُعْطِي أو بما عنده ولايسأل[١٢] والمعترّ الّذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللّحم ولايسأل[١٣]

هكذا سخّر الله تعالى لنا بهيمة الأنعام لعلّنا نشكر لله تعالى نعمه العظيمة وآلاءه الجسيمة علينا.

---

[١] انظر لسان العرب:"بدن"

[٢] الجلالين.

[٣] الجلالين.

[٤] لسان العرب:"صفف"

[٥] تفسير الطّبري ١١٨/١٧.

[٦] تفسير ابن كثير ٤٢٤/٥.

[٧] تفسير الطّبري ١١٨/١٧.

[٨] تفسير الطّبري ١١٨/١٧.

[٩] تفسير الطّبري ١١٩/١٧.

[١٠] الجلالين.

[١١] تفسير الطّبري ١١٩/١٧.

[١٢] تفسير الطّبري ١٢٠/١٧.

[١٣] تفسير الطّبري ١٢٠/١٧.

لن ينال الله تعالى لحوم تلك الأنعام ولادماؤها ولكن يناله عزّ وجلّ التّقوى منّا. هكذا سخّرها الله تعالى لنا لنكبّر الله تعالى على ماهدانا لمعالم دينه. وبشّر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم المحسنين الّذين بلغوا مرتبة الإحسان الوجه الآخر للتّقوى.

ممّا سبق يتبيّن أنّ سورة الحجّ المدنيّة الكريمة الّتي تتحدّث أساساً عن الحجّ على عهد إبراهيم عليه السّلام إنّما تبيّن للمصطفى ﷺ وللمؤمنين شعائر الحجّ الّتي طبّقها النّبيّ ﷺ وأخذها عنه الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم. والمعروف أنّ أطول حديثٍ في حجّة النّبيّ ﷺ هو الحديث الّذي رواه الإمام مسلم في صحيحه[1] عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. يقول رحمه الله تعالى رحمةً واسعة: حدّثنا أبوبكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم. جميعاً عن حاتم قال أبوبكر: حدّثنا حاتم بن إسماعيل المدنيّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبدالله. فسأل عن القوم[2] حتّى انتهى إليّ. فقلت: أنا محمّد بن عليّ بن حسين. فَأَهْوَى بيده إلي رأسي فنزع زِرّي الأَعْلَى[3] ثمّ نزع زرّي الأسفل. ثمّ وضع كفّه بين ثَدْيَيَّ وأنا يومئذٍ غلامٌ شابّ. فقال: مَرْحَباً بك ياابن أخي! سل عمّا شئت. فسألته وهو أَعْمَى، وحضر وقت الصّلاة فقام في نِساجةٍ[1] مُلْتَحِفاً بها. كلّما وضعها على مَنْكِبه رجع طرفاها إليه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المِشْجَب[2] فصلّى بنا. فقلت: أخبرني عن حِجّة رسول

---

[1] صحيح مسلم تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي ٢/٨٨٦-٨٩٢ حديث رقم ١٢١٨ وبشرح الإمام النّووي ٨/١٧٠-١٩٤.

[2] أي عن جماعة الرّجال الدّاخلين عليه، فإنّه إذ ذاك كان أَعْمى. عمي في آخر عمره رضي الله تعالى عنه.

[3] أي أخرجه من عروته لينكشف صدري عن القميص.

[1] قال في النّهاية: هي ضربٌ من الملاحف منسوجة، كأنّها سمّيت بالمصدر. يقال: نسجت أنسج نسجاً ونِساجة.

[2] هو عيدان تضمّ رءوسها ويفرج بين قوائمها توضع عليها الثّياب.

الله ﷺ . فقال بيده[٣] فعقدها تِسْعاً. فقال: إنّ رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحجّ. ثمّ أذّن في النّاس[٤] في العاشرة أنّ رسول الله ﷺ حاجّ. فقدم المدينة بَشَرٌ كثير. كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله. فخرجنا معه حتّى أتينا ذا الحليفة[٥] فولدت أسماء بنت عُمَيْس محمّد بن أبي بكر. فأرسلت إلى رسول الله ﷺ : كيف أصنع؟ قال: اغتسلي واسْتَثْفِرِي[٦] بثوبٍ وأحرمي. فصلّى رسول الله ﷺ في المسجد ثمّ ركب القصواء[٧] حتّى إذا استوت به ناقته على البَيْداء نظرت إلى مدّ بَصَرِي[٨] بين يديه من راكبٍ وماشٍ، وعن يمينه مِثْلَ ذلك. وعن يساره مثلَ ذلك. ومن خلفه مثلَ ذلك. ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعَلَيْهِ يَنْزِل القرآن، وهو يعرف تأويله. وماعَمِل به من شيءٍ عملنا به. فَأَهَلَّ بالتّوحيد[٩] لبّيك اللهمّ لبّيك. لبّيك لاشريك لك لبّيك. إنّ الحمد والنّعمة لك. والملك لاشريك لك. وأهلّ النّاسُ بهذا الّذي يُهِلُّون به. فلمِ يَرُدَّ رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه. ولَزِم رسول الله ﷺ تلبيته. قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوى إلّا الحجّ. لسنا نعرف العمرة. حتّى إذا أتينا البيت معه استلم الرّكن[١] فَرَمل ثلاثاً[٢] ومشى أربعاً. ثمّ نَفَذَ إلى مقام إبراهيم[٣] عليه السّلام. فقرأ:﴿ واتّخذوا

---

[٣] أي أشار بها.

[٤] معناه أعلمهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهّبوا للحجّ معه ويتعلّموا المناسك والأحكام ويشهدوا أقواله وأفعاله ويوصيهم ليبلّغ الشّاهد الغائب وتشيع دعوة الإسلام.

[٥] ذو الحليفة: ميقات أهل المدينة المنوّرة.

[٦] الاستثفار هو أن تشدّ في وسطها شيئاً، وتأخذ خرقة عريضةً تجعلها على محلّ الدّم وتشدّ طرفيها من أمامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها.

[٧] هي ناقته ﷺ.

[٨] منتهى بصري.

[٩] يعني قوله: لبيّك لاشريك لك.

[١] يعني الحجر الأسود.

[٢] الرَّمَل هو إسراع المشي مع تقارب الخُطا. وهو الخَبَب.

من مقام إبراهيم مصلّى﴾[٤] فجعل المقام بينه وبين البيت. فكان أبي يقول(ولا أعلمُهُ ذَكَرَه إلّا عن النّبيّ ﷺ) كان يقرأُ في الرّكعتين:﴿ قل هو الله أحد﴾و:﴿قل يأيّها الكافرون﴾[٥] ثمّ رجع إلى الرّكن فاستلمه. ثمّ خرج من الباب[٦] إلى الصَّفا. فلمّا دنا من الصّفا قرأ:﴿ إنّ الصَّفا والمروة من شعائر الله﴾[٧] أبدأ بما بدأ الله به. فبدأ بالصَّفا فَرَقَى عليه، حتّى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحّد الله وكبّره وقال: لا إله إلّا اللهُ وَحْدَه، أَنْجَزَ وَعْدَه، ونَصَرَ عبده، وهَزَمَ الأحزابَ وَحْده. ثمّ دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرّات. ثمّ نزل إلى المروة. حتّى انصبّت قدماه[٨] في بطن الوادي سَعَى. حتّى إذا صَعِدَتا[٩] مَشَى. حتّى أَتَى المروة. ففعل على المروة كما فعل على الصَّفا. حتّى إذا كان آخِرُ طوافه على المروة

فقال: لو أنّي استقبلتُ مِنْ أمري ما استدبرت لم أَسُقِ الهَدْي[١] وجعلتها عمرة.

---

[٣] أي بلغه ماضياً في زحام.

[٤] سورة البقرة ١٢٥.

[٥] يقرأ في الأولى بسورة الكافرون وفي الثانية يقرأ بسورة الإخلاص.

[٦] من باب بني مخزوم، وهو الّذي يسمّى باب الصَّفا. وخروجه عليه الصّلاة والسّلام منه لأنّه أقرب الأبواب إلى الصَّفا.

[٧] سورة البقرة ١٥٨.

[٨] أي انحدرت، فهو مجاز من انصباب الماء.

[٩] أي ارتفعت قدماه عن بطن الوادي.

[١] جاء في الهامش رقم ١ صفحة ٨٨٤ تعليقاً على المعنى نفسه في الحديث رقم ١٢١٦: ما استدبرت، ما موصولة محلّها النّصب على المفعوليّة لاستقبلت. والاستقبال خلاف الاستدبار. والمعنى: لو ظهرلي أوّلاً ما ظهر لي آخِراً من إحرامٍ بعمرة لما سقت الهدي وفعلت معكم ماأمرتكم بفعله من فسخ الحجّ بعمرة. وسائق الهدي لايصحّ له ذلك، فإنّه لايَحِلّ حتّى ينحره. ولاينحر إلّا يوم النّحر بخلاف من لم يسقه. قال ابن الأثير: وإنّما أراد بهذا القول تطييب قلوب أصحابه لأنّه كان يشقّ عليهم أن يَحِلُّوا وهو محرم، فقال لهم ذلك لئلّا يجدوا في أنفسهم وليعلموا أنّ الأفضل لهم قبول ما دعاهم إليه وأنّه لولا الهدي لفعله.

فمن كان منكم ليس معه هَدْي فَلْيَحِلّ، وليجعلها عمرة. فقام سُراقة ابن مالك بن جُعْشُم فقال: يارسول الله، ألِعامِنا هذا أم لِأَبد؟ فشبّك رسول الله ﷺ أصابعه واحدةً في الأخرى وقال: دخلت العمرة في الحجّ، مرّتين[٢] لابل لِأَبَدٍ أَبَدٍ. وقَدِمَ عليٌّ من اليمن ببُدْن[٣] النّبيّ ﷺ فوجد فاطمة رضي الله عنها مِمَّن حَلَّ ولَبِسَتْ ثِياباً صبيغاً واكْتَحَلَتْ. فأنكَر ذلك عليها. فقالت: إنّ أبي أمرني بهذا. قال: فكان عليٌّ يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ مُحَرِّشاً[٤] على فاطمة للّذي صَنَعَتْ مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرتْ عنه. فَأَخْبَرتُهُ أَنِّي أنكرت ذلك عليها فقال: صَدَقَتْ صَدَقَتْ. ماذا قلتَ حين فَرَضْتَ الحجّ؟ قال: قلت: اللهمّ إنّي أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولك. قال: فإنّ مَعِيَ الهَدْيَ فلاتَحِلّ. قال فكان جماعة الهَدْي الّذي قدم به عليٌّ من اليمن والّذي أتى به النّبيّ ﷺ مائة. قال: فَحَلّ النّاس كلّهم وقصّروا. إلّا النّبيّ ومن كان معه هدي. فلمّا كان يوم التّروية[٥] توجّهوا إلى مِنىً. فأهلّوا بالحجّ. وركب رسول الله ﷺ فصلّى بها الظّهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. ثمّ مكث قليلاً حتّى طلعت الشّمس وأمر بِقُبَّةٍ من شَعَر تضرب له بنمرة[١] فسار رسول الله ﷺ. ولاتشكّ قريشٌ إلّا أنّه واقفٌ عند المشعر الحرام[٢] كما كانت قريش تصنع في الجاهليّة. فأجاز[٣] رسول الله ﷺ حتّى أتى عرفة، فوجد القبّة قد ضُرِبت له بِنَمِرة. فنزل بها. حتّى

---

[٢] أي قال ذلك القول مرّتين اثنتين.

[٣] بنياق.

[٤] التّحريش الإغراء. والمراد هنا أن يذكر له مايقتضى عتابها.

[٥] الثّامن من شهر ذي الحجّة.

[١] موضع بجنب عرفات وليست من عرفات.

[٢] المزدلفة.

[٣] جاوز المزدلفة ولم يقف بها بل توجّه إلى عَرَفات.

إذا زاغتِ الشّمس[٤] أمر بالقصواء فَرُحِلَت[٥] له فأتى بطن الوادي[٦] فخطب النّاس وقال: إنّ دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا كُلُّ شيءٍ من أمر الجاهليّة تحت قدمَيَّ موضوع. ودماء الجاهليّة موضوعة. وإنّ أوّل دمٍ أضع مِنْ دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث. كان مسترضَعاً في بني سعد فقتلته هُذَيل. ورِبا الجاهليّة موضوع. وأوّل رِباً أضع رِبانا. رِبا عبّاس بن عبدالمطّلب، فإنّه موضوعٌ كلّه. فاتّقوا الله في النّساء. فإنّكم أخذتموهنّ بِأمان الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله. ولكم عليهنّ أنّ لايوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضرباً غير مبرّح[٧] ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف. وقد تركتُ فيكم مالن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به. كتابَ الله. وأنتم تُسْألون عَنِّي، فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنّك قد بَلَّغْتَ وأدّيت ونصحت. فقال بِإصْبِعِه السَّبّابة يرفعها إلى السّماء ويَنْكُتُها إلى النّاس[٨] اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد، ثلاث مرّات. ثمّ أذّن ثمّ أقام فصلّى الظّهر، ثمّ أقام فصلّى العصر[١] ولم يصلّ بينهما شيئاً. ثمّ ركب رسول الله ﷺ حتّى أتى الموقف. فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصّخرات[٢] وجعل حبل المشاة بين يديه[٣] واستقبل القبلة. فلم يزل واقفاً حتّى غربت الشّمس وذهبت الصّفرة قليلاً حتّى غاب القُرْص. وأردف أسامة خلفه. ودفع رسول الله ﷺ وقد

---

[٤] زاغت الشّمس: زالت ومالت.

[٥] أي وضع عليها الرّحل.

[٦] هو وادي عُرَنة وليس من عرفات.

[٧] غير شديد.

[٨] أي يقلّبها ويردّها إلى النّاس مشيراً إليهم. فقه السنّة ١/٥٤٤ هامش ٦.

[١] صلّى كلًّا منهما ركعتين ركعتين. فقه السّنّة ١/٦٣٩.

[٢] أسفل جبل الرّحمة.

[٣] روي حَبْل وروي جَبَل.

شنق للقصواء[٤] الزّمام. حتّى إنّ رأسها ليصيب مَوْرِك رَحْلِه[٥] ويقول بيده اليُمْنى[٦] أيُّها النّاس، السّكينةَ السّكينة[٧] كلّما أتى حَبْلاً من الحبال[٨] أَرْخَى لها[٩] قليلاً حتّى تصعد. حتّى أَتَى المزدلفة. فصلَّى بها المغرب والعشاء بأذانٍ واحدٍ وإقامتين[١٠] ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئا[١١] ثمّ اضطجع رسول الله ﷺ حتّى طلع الفجر، وصلّى الفجر حين تبيّن له الصُّبح بأذانٍ وإقامة. ثمّ ركب القصواء حتّى أتى المشعر الحرام. فاستقبل القبلة. فدعاه وكبّره وهلّله ووحّده. فلم يزل واقفاً حتّى أَسْفَرَ جدّاً. فَدَفَعَ قبل أن تَطْلُعَ الشّمس. وأردف الفضل ابن عبّاس. وكان رَجُلاً حسن الشّعر أبيض وسيماً. فلمّا دفع رسول الله ﷺ مرّت به ظُعُن[١٢] يجرين. فَطَفِقَ الفضل ينظر إليهنّ. فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل. فحوّل الفضل وجهه إلى الشِّقّ الآخر ينظر. فحوّل رسول الله ﷺ يده من الشِّقّ الآخر على وجهِ الفضل، يصرف وجهه من الشّقّ الآخر يَنْظُر. حتّى أتى بَطْنَ مُحَسِّر[١] فحرّك قليلاً. ثمّ سلك الطّريق الوُسْطَى الّتي تخرج على الجَمْرة الكبرى[٢] حتّى أتى الجَمْرةَ الّتي عند الشّجرة، فرماها بسبع حَصَيات. يكبّر مع

---

[٤] ضمّ وضيق لناقته القصواء الزّمام.

[٥] أي الموضع الّذي يَثْنِي الرّاكب رجله عليه أَمامه إذا ملّ الرّكوب.

[٦] أي مشيراً بها.

[٧] أي الزموا السّكينة.

[٨] أي أتى تلًّا لطيفاً من الرّمل.

[٩] أي أرخى للقصواء الزّمام.

[١٠] صلّى العشاء ركعتين اثنتين.

[١١] أي لم يصلّ بينهما نافلة.

[١٢] الظّعن النّياق والمراد النّساء على نياق.

[١] سمّي بذلك لأنّ فيل أصحاب الفيل حُسِرَ فيه أي أعيا وكَلّ.

[٢] هي جمرة العقبة. وهي الّتي عند الشّجرة.

كلّ حصاة منها، حَصَى الخَذْف[٣] رَمَي من بطن الوادي. ثمّ انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستّين بيده. ثمّ أعطى عليّاً فنحر ما غَبَرَ[٤] وأشركه في هديه. ثمّ أمر من كلّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ. فَجُعِلَتْ في قدر. فَطُبِخَتْ فأكلا من لحمها وشَرِبا من مَرَقِها. ثمّ ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت[٥] فصلّى بمكّة الظّهر. فأتى بني عبدالمطّلب يسقون على زمزم فقال: انْزِعوا[٦] بني عبدالمطّلب. فلولا أن يغلبكم النّاس[٧] على سقايتكم لنزعت معكم. فناولوه دلواً فشرب منه.

وقد تحدّثت سورة البقرة المدنيّة الكريمة عن إبراهيم عليه السّلام وعن ابتلاء الله تعالى له بالكلمات وجعله إماماً وأمره ببناء البيت العتيق ودعوته عليه السّلام إلى دين الإسلام، وذلك في الآيات الكريمات في سورة البقرة الكريمة من الرّابعة والعشرين بعد المائة إلى الرّابعة والثّلاثين بعد المائة. قال عزّ من قائل:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ

---

[٣] حصى الخذف حَصىً صغار بحيث يمكن أن يُرْمَى بإصبعين.

[٤] مابقي من النّياق تمام المائة.

[٥] فيه محذوف تقديره فأفاض فطاف بالبيت طواف الإفاضة ثمّ صلّى الظّهر. فحذف ذكر الطّواف لدلالة الكلام عليه.

[٦] استقوا بالدّلاء وانزعوها بالرّشاء.

[٧] أي لولا خوفي أن يظنّ النّاس أنّ الاستقاء من مناسك الحجّ بحيث يغلبونكم على السّقاية لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء.

مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَۖ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، واذكر يامحمّد إذ[1] ابتلى الرّبّ جلّ وعلا وامتحن واختبر[2] إبراهيم عليه السّلام أبا الأنبياء بكلماتٍ لم تبيّن في القرآن الكريم ماهي ولافي الحديث الصّحيح، وللمفسّرين فيها أقوال[3] ومن هذه الأقوال ما ذكره أبوحيّان[4] في تعبيرٍ لطيف:((ماابتلاه به في ماله وولده

---

[1] انظر تفسير ابن كثير ٢٣٧/١ والكشّاف ٢٣٦/١ والبحر المحيط ٣٧٤/١ والجلالين.

[2] تفسير القرطبي ٤٨٢.

[3] البحر المحيط ٣٧٥/١.

[4] البحر المحيط ٣٧٥/١.

ونفسه. فسلّم ماله للضّيفان، وولده للقربان، ونفسه للنّيران، وقلبه للرّحمن، فاتّخذه الله خليلاً)) فأتمهنّ إبراهيم عليه السّلام وأتى بهنّ على الوجه المأمور به[٥] قال الحقّ جلّ وعلا لإبراهيم عليه السّلام: إنّي جاعلك للنّاس إماماً وقدوةً يأتمّون بك[٦] ويقتدي بك الصّالحون[٧] ويهتدون بهديك ويستنّون بك[٨] قال إبراهيم عليه السّلام: وجاعلٌ بعض ذرّيّتي إماماً[٩] قال الحقّ جلّ وعلا لايدرك عهدي بالإمامة[١٠] القوم الظّالمين الكافرين[١١].

واذكر إذ جعلنا وصيّرنا[١] البيت الحرام والكعبة[٢] مثابةً للنّاس ومرجعاً يثوبون إليه من كلّ جانب[٣] وأمناً ومأمناً لهم من الظّلم[٤] وقلنا اتّخذوا أيّها النّاس من مقام إبراهيم مصلّى وهو الحَجَر الّذي قام عليه عند بناء البيت[٥]

---

[٥] البحر المحيط ١/٣٧٦.

[٦] البحر المحيط ١/٣٧٢.

[٧] تفسير القرطبي ٤٩٣.

[٨] انظر معاني القرآن للفرّاء ١/٧٦.

[٩] الكشّاف ١/٢٣٦.

[١٠] تفسير الطّبري ١/٤١٨.

[١١] البحر المحيط ١/٣٧٧.

[١] البحر المحيط ١/٣٨٠ وتفسير القرطبي ٤٩٦.

[٢] تفسير القرطبي ٤٩٦.

[٣] الجلالين.

[٤] الجلالين.

[٥] الجلالين.

وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل وأمرناهما[٦] وأوحينا إليهما[٧] أن طهّرا بيتي الحرام للطّائفين بالكعبة المشرّفة، والعاكفين الحابسين أنفسهم فيه لله تعالى[٨] والرّكّع السّجود في صلواتهم.

واذكر إذ قال إبراهيم عليه السّلام ياربّ اجعل هذا البلد الحرام بلداً آمناً من كلّ خوف، وارزق أهله من الثّمرات من آمن منهم بالله تعالى فأفرده عزّ وجلّ بالعبادة، وباليوم الآخر فعمل لما بعد الموت. قال الحقّ جلّ وعلا ومن كفر فأمتّعه في هذه الحياة الأولى قليلاً ثمّ أضطرّه وأُجلِؤُه[٩] يوم القيامة إلى عذاب النّار وبئس القرار جهنّم، وبئس المصير والمستقرّ.

واذكر إذ يرفع إبراهيم عليه السّلام القواعد من البيت الحرام وإسماعيل عليه السّلام ابنه، قائِلَيْن ياربّنا تقبّل منّا عملنا إنّك أنت السّميع لكلّ قول، العليم بكلّ نيّةٍ وفعل. واختلف أهل التّأويل في تلك القواعد أهما أحدثاها أم هي قواعد له كانت قبلهما؟ واختلفوا كذلك فيمن بني البيت أوّلاً وأسّسه فقيل الملائكة وقيل آدم عليه السّلام. لقد بيّن الطّبريّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً أنّ حقيقة كلّ ذلك لاتدرك إلّا بخبرٍ عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ بالنّقل المستفيض، ولاخبر بذلك تقوم به الحجّة فيجب التّسليم لها، ولا هو ممّا يدلّ عليه بالاستدلال والمقاييس، ومن ثمّ وكل العلم في ذلك إلى الله تعالى فقال[١]: ((والله تعالى أعلم))

---

[٦] تفسير القرطبي ٤٩٩.

[٧] تفسير ابن كثير ٢٤٨/١.

[٨] انظر تفسير الطّبري ٤٢٤/١.

[٩] البحر المحيط ٣٧٣/١.

[١] انظر تفسير الطّبري ٤٣٠/١.

ياربّنا واجعلنا عبدين مسلمين لك خاضعين لأوامرك مذعنين لمشيئتك، واجعل من ذريّتنا جماعةً[٢] مسلمةً لك ياربّنا، وعلّمنا[٣] مناسك حجّنا ودلّنا عليها[٤] وتب علينا، واقبل توبتنا، إنّك أنت التّوّاب الرّحيم. ولايخفى التّواضع الجمّ الّذي فطر الله تعالى عليه هذين النّبيّين الكريمين.

ياربّنا وابعث في ذرّيّتنا رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك البيّنات، ويعلّمهم الكتاب الكريم، والحكمة العظيمة، ويزكّيهم ويطهّرهم من الشّرك ومن الذّنوب. إنّك أنت العزيز في ملكك الحكيم في صنعك وتدبيرك.

ومن يزهد في دين إبراهيم عليه السّلام إلّا من سفه نفسه، وجهل قدرها، وفعل بها من السّفه ما صار به سفيهاً[٥] ولقد اصطفاه الله تعالى واختاره في الدّنيا بالرّسالة والخُلّة[٦] وإنّه في الآخرة لمن الصّالحين. ومعروفٌ أنّ صفة الصّلاح واسعة المدى فهي ترقى كي تشمل كلاًّ من النبيّين والمرسلين عليهم صلوات الله تعالى وسلامه أجمعين. لقد اصطفى الله تعالى إبراهيم عليه السّلام حين قال له ربّه عزّ وجلّ أَسْلِم قال أسلمت لِرَبِّ العالمين وحده دون سواه.

ووصّى بالملّة[١] إبراهيم عليه السّلام بنيه ووصّى بها يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السّلام بنيه قائلين يابَنِيّ إنّ الله تعالى اصطفى لكم دين الإسلام ورضيه لكم فلاتموتنّ إلّا وأنتم مسلمون لله تعالى ربّ العالمين.

---

[٢] تفسير القرطبي ٥١٢.

[٣] تفسير الطّبري ٤٣٤/١.

[٤] تفسير الطّبري ٤٣٤/١.

[٥] انظر تفسير القرطبي ٥١٧.

[٦] الجلالين.

[١] الجلالين.

بل أكنتم شهداء[٢] إذ حضر يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام الموت، وكنتم أيّها اليهود والنّصارى حاضرين إذ نزلت بيعقوب عليه السّلام أسباب الموت، فأنتم تقولون عن إبراهيم وآله عن علم، ولاتعرفون بما لاتعرفون، حين قال لبنيه ماتعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك الواحد الأحد، وإله آبائك إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق عليهم السّلام، ونحن له جميعاً مسلمون له ومنقادون. وبما أنّ اليهود والنّصارى لم يوجدوا آنذاك أصلاً فهم كاذبون إذن فيما يدّعونه من كون إبراهيم عليه السّلام يهودياً في عُرْف اليهود، نصرانيّاً في عرف النّصارى .

تلك أمّةٌ قد مضت[٣] وتلك جماعةٌ من قوم إبراهيم عليه السّلام قد ذهبت، لها ما كسبت من حسنات وسيّئات، ولكم أيّها المخاطبون ماكسبتم من حسناتٍ وسيّئات، ولاتُسْأَلُون عمّا كانوا يعملون، فضلاً عن أن تحاسبوا وتجازَوْا، تثابُوا أو تعاقَبُوا.

وبعض هذه المعاني الّتي جاءت في آيات سورة البقرة جاءت في الآيات الكريمات من الخامسة والثّلاثين إلى الحادية والأربعين من سورة إبراهيم عليه السّلام المكّيّة[١] قال عزّ من قائل:

﴿ وَإِذ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي

---

[٢] انظر البحر المحيط ١/٤٠٠.

[٣] تفسير ابن كثير ١/٢٧٠.

[١] الإتقان ١/٤٣.

بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، واذكر يامحمّد إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه: ياربّ اجعل هذا البلد الحرام آمناً واجنبني وبَنِيّ أن نعبد الأصنام. ياربّ إنّهنّ أضللن كثيراً من النّاس عن سبيل الهدى. فمن تبعني وأسلم لله تعالى ربّ العالمين فإنّه مِنّي ومن أُمَّتي المسلمة لله تعالى ربّ العالمين، ومن عصاني فإنّك ياربّي غفورٌ ذنب من استغفرك ووسعت رحمتك كلّ حَيٍّ وشيء. يارَبَّنا إنّي أسكنت من ذُرِّيتي ابْنِيَ إسماعيل وأمَّه هاجَر عليهما السّلام بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم وكعبتك المطهّرة، ربّنا ليقيموا الصّلاة عماد الدّين، فاجعل أفئدةً من النّاس تَهْوِي إليهم قبل الأجساد، وقلوباً تتعلّق بهم قبل الأجسام، وارزقهم من الثّمرات لعلّهم يشكرون لك ياربّي نعمك العظيمة وآلاءك الجسيمة عليهم.

ياربّنا إنّك تعلم مانُخفِي ومانعلن من جليل الأمور وهيّنها، ومايخفى على الله تعالى من شيءٍ في الأرض ولا في السّماء.

الحمدلله تعالى الّذي وهب لي على الكبر إسماعيل من زوجتي هاجَر، وإسحاق من زوجتي سارّة. إنّ ربّي جلّ وعلا لسميع الدّعاء، فلم يردّ دعائي جلّ وعلا ولم يخيّب رجائي.

ياربّ اجعلني مقيم الصّلاة، فرضها ونفلها بشروطها،واجعل من ذرّيتي من يقيم الصّلاة، ياربَّنا وتقبّل دعائي دائماً وأبداً.

ياربّنا اغفرلي ولِوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ويكون الجزاء.

وواضحٌ أنّ دعوة إبراهيم عليه السّلام لأبيه الكافر آزر عليه لعنة الله تعالى قبل أن يتبيّن لإبراهيم عليه السّلام أنّه عدوٌّ لله تعالى، فلمّا تبيّنت له حقيقة عداوته لله تعالى تبرّأ منه.

وقد أشارت سورة الصّافّات المكّيّة[1] الكريمة في بعض آياتها إلى إيحاء الله تعالى لإبراهيم عليه السّلام في المنام بذبح ابنه البكر إسماعيل عليه السّلام وإلى افتدائه بذِبْحٍ عظيم. قال عزّ من قائل[2]:

﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ

---

[1] الإتقان ١/٤٣.

[2] سورة الصّافات ٩٧-١١١.

مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، قال الكافرون من قوم إبراهيم عليه السّلام الّذين كسّر عليهم بالفأس أصنامهم إلّا كبيرهم ابنوا له بنياناً، واصنعوا له فرناً، فألقوه في الجحيم وجمر النّار بعضه على بعض، والنّار على النّار[٣] فأرادوا به كيداً وإحراقه بالنّار[٤] فجعلناهم الأسفلين الأذلّين حجّة[٥] وقال إبراهيم عليه السّلام إنّي مهاجرٌ من بلدة قومي في العراق إلى الله تعالى، أي الأرض المقدّسة في الشّام ومفارقهم فمعتزلهم لعبادة الله تعالى[١] الّذي سيهديني إلى سواء السّبيل دائماً وأبداً. ياربّ هب لي من فضلك ولداً يكون من الصّالحين[٢] فبشّره الله تعالى بغلامٍ حليمٍ منذ صغره هو إسماعيل عليه السّلام، فإنّه أوّل ولدٍ بُشِّر به إبراهيم عليه السّلام، وهو أكبر من إسحاق باتّفاق المسلمين وأهل الكتاب[٣] فلمّا بلغ الغلام مع أبيه عليه السّلام السّعي، أي يسعى معه ويعينه، قيل بلغ سبع سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة[٤] قال في صيغة تصغير التّمليح يابنيّ إنّي

---

[٣] تفسير الطّبري ٢٣/٤٨.

[٤] تفسير الطّبري ٢٣/٤٨.

[٥] تفسير الطّبري ٢٣/٤٨.

[١] انظر تفسير الطّبري ٢٣/٤٨ والجلالين وترجمته عليه الصّلاة والسّلام في تهذيب الأسماء واللّغات ١/٩٨.

[٢] تفسير الطّبري ٢٣/٤٨.

[٣] تفسير ابن كثير ٧/٢٣.

[٤] الجلالين.

أرى في المنام أنّي أذبحك. ورؤيا النّبيّين وَحْيٌ وحقّ، فانظر يابُنَيّ ماذا تَرَى في هذه الرُّؤيا المناميّة؟ قال يا أبت افعل ماتؤمر في الرُّؤيا، ستجدني إن شاء الله تعالى من الصّابرين على قضاء الله تعالى. والتّاء من يا أبت عوضٌ عن ياء الإضافة[٥] وهكذا يبادل الابن الأب لطفاً بلطفٍ ورضاً بقضاء الله تعالى. فلما استسلما لقضاء الله تعالى وانقادا لقدره[٦] وأكبّ إبراهيم عليه السّلام ابنه إسماعيل عليه السّلام على وجهه[٧] وجبهته[٨] وصرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولايشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه[٩] وناديناه أن ياإبراهيم قد صدّقت الرُّؤيا وقد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذّبح[١] إنّا كما جزيناك بطاعتنا ياإبراهيم كذلك نجزي الّذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا وعملوا في رضانا[٢] إنّ هذا لهو الاختبار الّذي يبين لمن فكّر فيه أنّه بلاءٌ شديد، ومحنة عظيمة[٣] وفدينا إسماعيل وأنقذناه من الذّبح[٤] بِذِبحٍ وكبشٍ أعدّ للذَّبح[٥] عظيم. وهذا الكبش من الجنّة. وهو الّذي قرّبه هابيل جاء به جبريل عليه السّلام فذبحه السّيّد إبراهيم مكبّراً[٦] وتركنا على إبراهيم عليه السّلام في

---

[٥] الجلالين.

[٦] انظر تفسير ابن كثير ٢٤/٧.

[٧] تفسير ابن كثير ٢٤/٧.

[٨] تفسير الطّبري ٥١/٢٣.

[٩] تفسير ابن كثير ٢٤/٧.

[١] تفسير ابن كثير ٢٥/٧.

[٢] تفسير الطّبري ٥١/٢٣.

[٣] تفسير الطّبري ٥١/٢٣.

[٤] تفسير الطّبري ٥١/٢٣.

[٥] تفسير الطّبري ٥٤/٢٣.

[٦] الجلالين.

الآخرين، وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناءً حسناً[٧] سلامٌ على إبراهيم وأَمَنَةٌ من الله في الأرض لإبراهيم أن لايذكر من بعده إلّا بالجميل من الذّكر[٨] في مثل هذه الطّريقة يجزي الله تعالى المحسنين. إنّ إبراهيم عليه السّلام من عباد الله تعالى المؤمنين.

وممّا نزل على النّبيّ ﷺ من قرآنٍ كريم في حجّة الوداع الآية الكريمة الثّالثة من سورة المائدة المدنيّة الكريمة الّتي نزلت على النّبيّ ﷺ عشيّة يوم عرفة التّاسع من شهر ذي الحجّة في حجّة الوداع[٩] وفيها جاء قول الحقّ جلّ وعلا:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، اليوم أكملت لكم أيّها المسلمون دينكم دين الإسلام لله تعالى ربّ العالمين، وأتممت عليكم نعمتي بكمال الدّين الّذي لايحتاج إلى زيادةٍ فيه ولاابتداع، ورضيت لكم الإسلام ديناً. أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنّه الدّين الّذي رضيه الله وأحبّه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه[١] وروي أنّ عمر رضي الله تعالى عنه حينما سمع الجزئيّة الكريمة وذلك يوم الحجّ الأكبر بكى. فقال له النّبيّ ﷺ: مايبكيك؟ قال: أبكاني أنّا كنّا في زيادةٍ من ديننا، فأمّا إذ أكمل فإنّه لم يكمل شيءٌ إلّا نقص. فقال: صدقت[٢].

---

[٧] تفسير الطّبري ٢٣/٥٦.

[٨] تفسير الطّبري ٢٣/٥٧.

[٩] انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٤.

[١] تفسير ابن كثير ٣/٢٣.

[٢] تفسير ابن كثير ٣/٢٣.

لقد كانت حجّة الوداع سنة عشرٍ من الهجرة[٣] وعيّن النّبيّ ﷺ أبابكر رضي الله تعالى عنه أميراً للحجّ سنة تسع من الهجرة[٤] وإنّما لم يحجّ النّبيّ ﷺ تلك السّنة لأنّ المشركين يحجّون. وقد أرسل النّبيّ ﷺ عليّاً رضي الله تعالى عنه كي يؤذّن في ذلك الحجّ بسورة براءة. فنادى عليّ رضي الله تعالى عنه يوم الأضحى: لايحجّنّ بعد العام مشرك ولايطوفنّ بالبيت عريان[٥] وكان النّبيّ ﷺ بعد فتح مكّة قد عيّن عَتّاب بن أَسِيد أميراً عليها، وحَجَّ عَتّاب بن أسيد بالنّاس سنة ثمان، وحجّ النّاس تلك السّنة على ماكانت العرب تحجّ[٦].

لقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية:

٣٦- القصيدة الخامسة والثّلاثون (٥٧٠)بَيْتاً
حِجَّةُ الوَداع (من البسيط)

١- بِالحَجِّ لِلْبَيْتِ دِينُ اللهِ يَكْتَمِلُ ... والحمدُ لِلهِ لاشِرْكٌ ولادَجَلُ
٢- قد طُهِّرَ البَيْتُ بعد الفَتْحِ من صَنَمٍ ... وليس ثَمَّةَ لاعُزَّى ولاهُبَلُ
٣- كان الرّسولُ بِعامٍ قبل حِجَّتِهِ ... لَهُ بِكُلِّ نواحِي مَكَّةَ الرُّسُلُ
٤- قد أَعْلَنُوا أَنَّ حَجَّ البَيْتِ مُقْتَصِرٌ ... على الّذين لِتَوْحِيدٍ قد امْتَثَلوا
٥- ولاتَطُوفُ بِبَيْتِ اللهِ عارِيَةٌ ... ولايَطُوفُ بَتاتاً عارِياً رَجُلُ
٦- قد كان أحمدُ بعد الفَتْحِ هِمَّتُهُ ... لِلْحَجِّ وِجْهَتُها والذِّهْنُ مُنْشَغِلُ
٧- فلاتَزالُ بِأَرْضِ العُرْبِ شِرْذَمَةٌ ... تَدْعُو مع اللهِ أَصْناماً بِها عَطَلُ[١]

---

[٣] الكامل في التّاريخ ٢/٣٠٢.
[٤] الكامل في التّاريخ ٢/٢٩١.
[٥] الكامل في التّاريخ ٢/٢٩١.
[٦] الكامل في التّاريخ ٢/٢٧٢ و٢٢٩.
[١] شِرْذِمة: جماعة قليلة من النّاس. عطل: لاخير فيها ولاعَمَل لها.

٨- تَمْضِـي إليهـا وتَرْجُوهـا وتَعْبُـدُها ... وربَّمـا قـد علاهـا مـنهمُ حُلَـل

٩- وربّمـا كانَـتِ الحَلْـوَى عَجِينَتَهـا ... وربّمـا حينمـا جـاعُوا لهـا أَكَلـوا

١٠- هي الأُمُورُ الّتي يَنْدَى الجبينُ لها ... كـانُوا أَتَوْهـا لأنَّ العَقْـلَ مُنْعَـزِل

١١- وكـان يَلْـزَمُهُمْ تَوْحِيـدُ خـالِقِهِمْ ... إن هُـمْ أَرادُوا لِبَيْـتِ الله أن يَصِـلُوا

١٢- أَمـا وقـد أَشْـرَكوا فالبَيْـتُ مُمْتَنِـعٌ ... والحَـجُّ لِلْبَيْـتِ قـد سُـدَّتْ لَـهُ السُّـبُل

١٣- مِـنْ بعـد فَـتْحٍ رسـولُ الله يَنْشَـغِلُ ... بِحَرْبِـهِ في حُنَـيْنٍ إنَّهـا جَلَـل[٢]

١٤- وفي تَبُـوكَ وقـد طـالَ الطّريـقُ لها ... وأَرْهَقَتْـهُ بهـا الأَسْـبابُ والعِلَـل

١٥- مـاأَعْظَمَ الجُهْـدَ قـد تَمَّ السَّـخاءُ بِـهِ ... وأَعْظَـمَ الأَجْـرَ لِلْجُهْـدِ الّـذي بَـذَلوا

١٦- كان الرّسولُ مَضَى في الشَّهْرِ من رَجَبٍ ... وعـادَ في رَمَضـانَ الفـارِسُ البَطَـل

١٧- قـد فَـرَّ منـه هِرَقْـلٌ حَيْـثُ سـابَقَهُ ... كُـلُّ الّـذين علـى أَهْوائِـهِ سَـفَلوا[٣]

١٨- لم يَلْـقَ خيْـرُ عِبـادِ اللهِ كُلِّهِـمُ ... كَيْـداً هنالـك فـالأَحْزابُ تَنْخَـزِل[١]

١٩- ذابُـوا كـأَنّهُمُ مِلْـحٌ فلـيس لَهُـمْ ... في أيّ ناحِيَـةٍ عِجْـلٌ ولاجَمَـل[٢]

٢٠- عـادَ الرّسـول وفي أثنـاءِ عَوْدَتِـهِ ... بَـراءةٌ صَـدْرُها يَهْمِـي ويَنْهَمِـل[٣]

٢١- رَبُّ الوُجـودِ إلـهُ العَـرْشِ أَنْزَلَهـا ... في ذلـك الوَقْـتِ إنّ الحَـجَّ مُحْتَمَـل

٢٢- وإنَّـهُ الأَمْـرُ مـن طـهَ إذا انْـدَفَعَتْ ... تُذِيعُـهُ رُسْـلُهُ فـالأَمْرُ مُمْتَثَـل

٢٣- في ذلـك العـامِ أَمَّ الحَـجَّ صـاحِبُهُ ... في الغـارِ والحَـوْضِ فالصِّـدّيق مُبْتَهِـل[٤]

---

[٢] جلل: شيءٌ كبير عظيم.

[٣] سفلوا، بفتح الفاء:هبطوا.

[١] تنخزل: تنقطع.

[٢] العجل، بكسر العين وسكون الجيم: ولد البقرة. والمراد بالعجل الرّجل من الرّوم. والمراد بالجمل مناصرهم من العرب المتنصّرة.

[٣] يَهْمِي: يسيل لايثنيه شيء. ينهمل: يسيل ويفيض.

[٤] كان أبوبكر رضي الله تعالى عنه أمير الحجّ سنة تسع.

٢٤- وفي الطَّرِيــقِ تَــلاهُ زَوْجُ فاطمــةٍ كَــيْ يَتْلُــوَ الآيَ منهــا النّــارُ تَشْــتَعِل
٢٥- لِكَيْ يُبَلِّغَ عن خَيْرِ الوَرَى رَجُلٌ مــن آلِ أحمــدَ إنّ الأَمْــرَ يُمْتَثَــل[٥]
٢٦- فــلا يَحُجَّــنَّ بعــد العــامِ مُشْــرِكَةٌ ومُشْــرِكٌ وثِيــابُ الحَــجِّ تَكْتَمِــل
٢٧- فــلا مَكــانَ لِعــارٍ أو لِعارِيَــةٍ لَــدَى الطَّــوافِ لِأُمِّ المُنْكِــرِ الهَبَــل[٦]
٢٨- رُسْلُ الرَّسولِ أَذاعُوا كُلَّ ما أُمِرُوا بِأن يَقُولُــوا ففــي أَصْــواتِهِمْ صَــحَل[٧]
٢٩- قــد طَهَّرَ اللهُ حَجَّ البَيْتِ من فِئَةٍ بِالشِّــرْكِ رَغْــمَ بُــزُوغِ الفَجْــرِ تَشْــتَمِل
٣٠- أَبَى المليــكُ بِأنْ يَبْقَــى لِمُشْــرِكَةٍ ومُشْــرِكٍ في نَــواحِي بَيْتِــهِ نُــزُل[٨]
٣١- مَكــانُهُمْ مَزْجَــرٌ لِلْكَلْبِ من نَجَسٍ ومِــنْ أَذًى وقَــذًى كــانُوا قــد احْتَمَلــوا
٣٢- عــادَ الحَجِيجُ وقــد أَدَّوْا مناسِكَهُمْ بِفَضْــــلِ ربّــــكَ والأَيّامُ ذي دُوَل

٣٣- وفيهِمُ مِنْ بِأَمْرِ المصطفى صَدَحَتْ منــه العَقِــيرةُ لاشــرْكٌ ولاعَطَــل[١]
٣٤- وحينمــا قــد أَتَــتْ لِلْحَــجِّ أَشْــهُرُهُ نادَى الرّسولُ بِحَــجِّ البَيْــتِ فــاهْتَبِلوا[٢]
٣٥- كــي تَأْخُــذُوا حَجَّكُــمْ عَــنِّي ومَنْسَــكَكُمْ فَرُبَّمَــا عــن قَرِيــبٍ ســوف أَرْتَحِــل
٣٦- لايَنْطِقُ المصطفى من نَفْسِهِ أَبَداً كُــلُّ الّــذي قــال وَحْــيٌ حَقَّــقَ العَمَــل
٣٧- رُوحُ الرّسولِ بُعَيْــدَ الحَــجِّ قــد لَحِقَــتْ بِاللهِ مَــنْ فَضْــلُهُ للمصــطفى يَصِــل
٣٨- وحينمــــا ذاعَ في الأَقْــــوامِ نِيَّتُــــهُ بِأن يَحُــــجَّ أَتَــــوْا كالسَّــــيْلِ يَرْتَحِــــل
٣٩- وبَعْضُــهُمْ مــارَأَى طــهَ فَمُنْيَــتُهُمْ لــــو أنّ أَعْيُــــنَهُمْ بِالنُّــــورِ تَكْتَحِــــل
٤٠- إلى المَدِينــةِ جــاءَ النّــاسُ في زُمَــرٍ يَحْــدُوهُمُ في اتِّبــاعِ المصــطفى أَمَــل[٣]

---

[٥] أي أَمْرُ الله تعالى بأن يبلّغ عنه ﷺ رجلٌ من آل البيت يُطاع ويُمْتَثل.

[٦] الهبل، بالتّحريك: الثّكل وفقد الولد.

[٧] صحل، بالتّحريك: بُحّة، بضمّ الباء، وخشونة.

[٨] نزل: منزل.

[١] العقيرة: الصّوت. عطل. من الثّياب.

[٢] فاهتبلوا: فاغتنموا.

[٣] زمر: جماعات.

٤١- الحَجُّ لِلْبَيْتِ كان القَوْمُ قد عَبَثُوا بِرُوحِهِ حينما لِلدَّرْكِ قد نَزَلُوا
٤٢- اِسْمَعْ دُعاءَهُمُ فالقَوْمُ قد جَعَلُوا لِلهِ نِدّاً وبِئْسَ الفِعْلُ ما فَعَلوا
٤٣- واللهُ قد بَعَثَ المختارَ من مُضَرٍ بِدِينِهِ الحَقِّ قد جاءَتْ بِهِ الرُّسُل
٤٤- هي الحنِيفِيَّةُ السَّمْحاءُ قد رَجَعَتْ نَقِيَّةً هكذا أَيّامُها الأُوَل
٤٥- كُلُّ المكارِمِ لِلْأَخْلاقِ تَمَّمَها مُحَمّدٌ هِيَ بِالتّوحِيدِ تَتَّصِل
٤٦- أَبُو النَّبِيّينَ إبراهيمُ جاءَ بِها مِنْ بَيْنِ ماجاءَهُ والوَحْيُ مُتَّصِل
٤٧- أمّا الّذي جاءَهُ في الحَجِّ مِنْ عِبَرٍ ففي الكِتابِ لها قد بُلَّتِ المُقَل[٤]
٤٨- وفي المشاعِرِ إسماعيلُ كاد يُرَى ذَبِيحَ رُؤْيا هِيَ الوَحْيُ الّذي يَصِل[٥]
٤٩- هو الحَلِيمُ غُلاماً وَقْتَ نَبَّأَهُ أَبُوهُ بالذَّبْحِ في الرُّؤْيا فما العَمَل
٥٠- لَبَّى الّذي كان في الرُّؤْيا أَبُوهُ رَأَى مِنْ ذَبْحِهِ بِمِنىً فالطِّفْلُ يَمْتَثِل
٥١- وإنّ رَحْمَةَ ربِّ العَرْشِ غامِرَةٌ فكان في الكَبْشِ يَلْقَى حَتْفَهُ بَدَل

٥٢- هِيَ الأُمُورُ الّتي في الحَجِّ قد كَثُرَتْ في بَعْضِها صِحَّةٌ في بَعْضِها دَخَل[١]
٥٣- رُكنٌ من الدِّينِ حَجُّ البَيْتِ يَلْزَمُهُ بِأن يَقُومَ بِهِ طَهَ ويَحْتَفِل
٥٤- اُنْظُرْ إلى فَضْلِ رَبِّ العَرْشِ حين بدا محمّدٌ وَقْتَ لَبَّى إنَّهُ الرَّجُل
٥٥- وبعد عَوْدَتِهِ من حجّهِ اصْطَلَحَتْ عليه وَهْوَ يُلَبِّي رَبَّهُ العِلَل[٢]
٥٦- هو المُقَدِّر جَلَّ اللهُ خالِقُنا أليس بِالْحَجِّ دِينُ اللهِ يَكْتَمِل
٥٧- أليس نِعْمَةُ رَبِّ العَرْشِ بارِئِنا تَمَّتْ بِحَجٍّ فهذا الدِّينُ مُكْتَمِل
٥٨- ألم يَجِيءْ نَصْرُهُ لِلْعَبْدِ أَرْسَلَهُ ألم يَجِيءُ فَتْحُهُ فالشِّرْكُ يُنْتَعَل[٣]
٥٩- إذَنْ يُؤَدِّي رسولُ اللهِ حِجّتَهُ وبَعْدَها لِنداءِ اللهِ يَمْتَثِل

---

[٤] الكتاب: القرآن الكريم. المقل جمع مُقْلة بمعنى العين.
[٥] المراد ماجاء في سورة الصّافّات الآيات الكريمات ١٠٠-١٠٧.
[١] دخل: فساد.
[٢] يلبّي ربّه: يلبّي نداه ويجيبه بقول: لبّيك.
[٣] ينتعل: يلبس في القدم كالنّعل.

٦٠- بعـــد الأَداءِ لِظُهْـــرٍ في مَدِينَتِـــهِ ... في مَسْجِدِ المصطفى القَصْواءُ تَنْتَقِل[٤]

٦١- لِـذِي الحُلَيْفَـةِ مِيقـاتِ الّـذين أَتَـوْا ... مِــنَ المدينــةِ أو مِــنْ بَعْــدِها رَحَلُــوا

٦٢- في ذي الحُلَيْفَةِ أَمْضَى الرَّكْبُ لَيْلَتَهُ ... حَـتّى يُتـاحَ لِبـاقِي الرَّكْـبِ أن يَصِـلوا

٦٣- كَيْ يَسْعَدُوا بِالتَّأَسِّي في فَرِيضَتِهِمْ ... بِالمصـطفى حينمـا القَصْـواءُ تُرْتَحَـل[٥]

٦٤- ويَمْتَطِيهـا ومَـوْجُ البَحْـرِ مُضْـطَرِبٌ ... مِــنَ الصِّــحابِ وكُــلٌّ كــانَ يَبْتَهِــل

٦٥- يَرْنُــو إلى أحمــدَ المختــارِ في مِقَــةٍ ... والـدّمْعُ مـن بَهْجَـةٍ لِلـنَّفْسِ يَنْهَمِـل[٦]

٦٦- إذا نَظَـرْتَ رَأَيْـتَ النّـاسَ قـد مَـلَأُوا ... كُلَّ النّواحِي وضاقَ السَّهْلُ والجَبَل

٦٧- كَـأَنَّ كُـلَّ بِـلادِ العُـرْبِ ماشَـهِدَتْ ... حَشْـداً كهـذا وذا تارِيخُكُـمْ فَسَـلُوا

٦٨- هـو النَّجـاحُ قَضَـى المـولَى لِخِيرَتِـهِ ... مِـنْ خَلْقِـهِ مَـنْ بِـهِ قـد تُمِّـمَ الرُّسُـل[١]

٦٩- بَـدا الرّسـولُ كـأنَّ البَـدْرَ طَلْعَتُـهُ ... أو أَنَّــهُ الشَّــمْسُ في بُــرْجٍ هــو الحَمَــل[٢]

٧٠- وقـد أحـاطَ بِخَـيْرِ الخَلْـقِ صُـحْبَتُهُ ... مــن كــان يَرْكَــبُ أو يَمْشِــي ويَرْتَجِــل[٣]

٧١- هُـمُ الّـذين لِإبـراهيمَ قـد سَمِعـوا ... أَذانَــهُ أن يَحُجُّــوا البَيْــتَ فــامْتَثَلوا

٧٢- بِأَمْـرِ ربِّـكَ إبـراهيمُ كـان عَـلا ... أباقُبَــيْسٍ بِبَيْــتِ اللهِ يَتَّصِــل[٤]

٧٣- ومِـنْ هنالـك نادَى النّـاسَ أَجْمَعَهُـمْ ... بِأن يَحُجُّــوا وأَمْــرُ اللهِ يُمْتَثَــل

٧٤- بِإذنِ ربّـكَ مـن قـد أَسْـلَمُوا سَمِعُـوا ... ذاك النِّــداءَ بِحَــجِّ البَيْــتِ فــابْتَهَلوا

---

[٤] القصواء: ناقة النّبيّ ﷺ.

[٥] تُرْتَحل: يوضع عليها الرَّحْل.

[٦] مقة: محبّة.

[١] الخيرة: مايختار.

[٢] الحمل: برج في السّماء وهو أوّل البروج الرّبيعيّة.

[٣] يرتجل: يمشي على رجليه.

[٤] أبوقبيس: هو الجبل المطلّ على المسجد الحرام من جهة الشّرق.

٧٥- كـانوا بأصـلابِ آباءٍ لهـم سَـكَنُوا وإثْرَهـا نحـو أَرْحـامٍ قـد انْتَقَلـوا
٧٦- يَـؤُمُّهُمْ أحمـدُ المختـارُ مـن بُعِثَـتْ بِـهِ الحَنِيفَـةُ يُلْقَـى ثَوْبُهـا السَّـمِل[٥]
٧٧- مـن حُمْـقِ أَتْبَاعِهـا كـانوا قـد انْحَرَفُـوا عـن المَحَجَّـةِ فاشْـتَطَّتْ بهـم سُـبُل[٦]
٧٨- وليس كالْحَجِّ فيه القومُ قد بَعْدُوا عـن المَحَجَّـةِ حيـث الشِّـرْكُ والـدَّغَل[٧]
٧٩- حتّى بِمَوْقِفِ حَجِّ البَيْتِ قد عَبَثُوا جَمْـعٌ لِحُمْـسٍ وعنـد الصَّـخْرِ مَـنْ هَزُلُـوا[٨]
٨٠- كِبْـرٌ بِـهِ القومُ قد ساءَتْ نُفُوسُـهُمُ النّاسُ كالمِشْـطِ من عَلُّوا ومن نَهَلُوا[٩]
٨١- لم يُحْسِـنُوا لِعبـادِ اللهِ إذْ حَسِـبُوا بأنَّهُـمْ قـد عَلَـوْا والحـقُّ قـد سَـفَلوا

٨٢- لايَسْـلُبُ اللهُ عَبْـداً نِعْمَـةٍ سَـلَفَتْ إلى التَّقِـيِّ رَعاهـا فَهْـوَ مُمْتَثِـل
٨٣- عَـدْلٌ مـن الله يَتْلُـوهُ ويَسْـبِقُهُ فَضْـلٌ على العَبْدِ لَيْتَ العَبْدَ يَحْتَفِل[١]
٨٤- تلك الدُّروسُ لِطُولِ العَهْدِ قد دَرَسَتْ وبِالرّسـولِ يَجِـدُّ القَـوْلُ والعَمَـل[٢]
٨٥- يُلْقِي الرّسولُ دُرُوساً في تواضُـعِهِ فالرَّحْـلُ أَبْسَـطُ رَحْـلٍ يَقْتَـنِي رَجُـل
٨٦- بِظَهْـرِ ناقَتِـهِ المختـارُ يَصْـحُبُه قَلِيـلُ مـاءٍ وزادٍ رَيْثَمـا يَصِـل
٨٧- رَأَى الصِّـحابُ لـدى المختـارِ أُسْـوَتَهُمْ مـن البَسـاطَةِ ماالأَصْـحابُ قـد فَعَلـوا
٨٨- أَغْنَى الصِّحابِ إذا ماحَجَّ مَظْهَرُهُ شَـبِيهُ أَفْقَـرِهِمْ والزُّهْـدُ مُتَّصِـل
٨٩- يَرْقَـى الغَـنِيُّ ويَسْـمُو في تَواضُـعِهِ فَيَلْتَقِـي بِفَقِـيرٍ فَقْـرُهُ عِلَـل
٩٠- هي المُواساةُ في الإسلامِ قد فَخَرَتْ هـي المُسـاواةُ قـد تاهَـتْ بهـا الحُلَـل
٩١- بِأَبْسَطِ الثَّوْبِ من قـد حَجَّ يَأْتَزِرُ ويَرْتَـدِي وبِكَسْـبِ الأَجْـرِ يَنْشَـغِل

---

[٥] ثوب سمل، بكسر الميم، أي خَلَقٌ بال.

[٦] المحجّة: الطّريق المستقيم. اشتطّ: بعد.

[٧] الدّغل: الفساد.

[٨] جمع: المزدلفة، وهي من الحرم، وتقف بها قريش ومن تابعها من الحُمْس المتحمّسين في دينهم. وعند الصّخر: جبل الرّحمة بعرفات.وهي من الحِلّ، يقف سائر النّاس، وهم الّذين على الصّواب. هزلوا: ضعفوا.

[٩] عَلّوا: شربوا مرّةً بعد مرّة. نهلوا: شربوا المرّة الأُولى. أي النّاس في الدّين سواسية كالمشط، الأغنياء والفقراء.

[١] يحتفل: يهتمّ.

[٢] درست عفت وذهب أثرها.

٩٢- هنا التّنافُسُ لافي المالِ يَجْمَعُهُ ونَيْلِ دُنيا وأَعْلا الجَنَّةِ الأَمَل
٩٣- وإنّ من حَجَّ لِلرّحمنِ فُرْصَتُهُ كَبِيرَةٌ في جِنانٍ ماؤُها عَسَل
٩٤- محمّدٌ بَيَّنَ المَطْلُوبَ نَعْمَلُهُ إذا نَحُجُّ وأَدْنَى نَهْيِهِ الجَدَل
٩٥- وهاهو المصطفى قد حَثَّ ناقَتَهُ على النُّهوضِ بِوَقْتٍ شابَهُ طَفَل[٣]
٩٦- إلى الرّسولِ عُيُونُ النّاسِ شاخِصَةٌ هي المناسِكُ منه اليومَ تَنْتَقِل
٩٧- لَبَّى الرّسولُ وقد قام الرَّكُوبُ بِهِ كذاك أَصْحابُهُ كُلٌّ لَهُ زَجَل[٤]
٩٨- تَوْحِيدُ رَبِّ الوَرَى قالَتْهُ تَلْبِيَةٌ وكُلُّ خَيْرٍ بِرَبِّ البَيْتِ مُتَّصِل

٩٩- ورُبَّما زادَ بَعْضُ الصَّحْبِ أَدْعِيَةً كانَتْ مَحَطَّ رِضا المختارِ إذْ نَسَلوا[١]
١٠٠- فاضَ الخُشُوعُ بِخَيْرِ الخَلْقِ كُلِّهِمُ فَلِلدُّمُوعِ بِصَدْرِ المصطفى بَلَل
١٠١- مَضَى الرّسولُ يُلَبِّي والصِّحابُ لهمْ بِهِ التَّأَسِّي لما قالوهُ أو فَعَلوا
١٠٢- يكونُ لِلصَّوْتِ رَفْعٌ كُلَّما ارْتَفَعُوا بِظَهْرِ تَلٍّ وضَمَّتْ حَشْدَهُمْ قُلَل
١٠٣- وعن قَرِيبٍ يكونُ الصَّوْتُ قد تَعِبَتْ أَوْتارُه فَبَدا في صَوْتِهِمْ كَلَل
١٠٤- وعن قَرِيبٍ يَغِيبُ الصَّوْتُ أَجْمَعُهُ فَلِلْإشارَةِ دَوْرُ الصَّوْتِ يُخْتَتَل
١٠٥- كُلٌّ سَعِيدٌ بما قالُوا وماعَمِلوا مَنْ مِثْلُهُمْ لِرَسولِ الله يَمْتَثِل
١٠٦- غَطَّى الصِّحابُ جَمِيعَ الأَرْضِ قد رَحُبَتْ صُفوفُهُمْ حَوْلَ خَيْرِ الخَلْقِ تَتَّصِل
١٠٧- كُلٌّ سَعِيدٌ إذا عَيْنٌ لَهُ وَقَعَتْ على الرّسولِ فهذا الكُحْلُ والكَحَل[٢]

---

[٣] شابه: خالطه. الطَّفَل،بالتّحريك: بعد العصر ووقت ميل الشّمس إلى الغروب.

[٤] لبّى: قال: لبّيك اللّهمّ لبّيك. الرّكوب، بفتح الرّاء: المركوب من الدّوابّ. زجل: رفع صوت.

[١] نسلوا: أسرعوا. جاء في الآية الكريمة السّادسة والتّسعين من سورة الأنبياء قوله تعالى:﴿ وهم من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون﴾.

[٢] الكحل بحركتين: سواد منابت شعر الأجفان خلقة.

١٠٨- أمّا الغُبارُ فَغَطَّى القومَ أَجْمَعَهُمْ عليهمُ منه أَثْوابٌ هي الكِلَلُ[٣]

١٠٩- أليس ذا الحَجُّ ضَرْباً من مُجاهَدَةٍ لكنَّهُ ليس فيه البِيضُ والأَسَلُ[٤]

١١٠- هو الجِهادُ ولكن لاقِتالَ بِهِ بِقَدْرِ جِدِّكَ يَأْتِي الأَجْرُ والنَّفَلُ[٥]

١١١- وبعد أن قَطَعَ المختارُ مَرْحَلَةً طَوالَ لَيلٍ بِهِ الأَخفافُ تَعْتَمِلُ[٦]

١١٢- دنا الصَّباحُ وحانَ الوقتُ قد وَجَبَتْ فيه اسْتِراحَةُ مَنْ لِلْجُهْدِ قد بَذَلوا

١١٣- لِكَيْ يُؤَدُّوا صَلاةَ الفَجْرِ قد وُجِدَتْ أَنْفاسُهُ في نَسِيمٍ شابَهُ كَسَلُ

١١٤- ماأَجْمَلَ اللَّيْلَ بِالصَّحْراءِ قد سَهِرَتْ إذا النُّجومُ طَوالَ اللَّيلِ تَشْتَعِلُ

١١٥- أليس ذا الشَّهْرُ قد دَبَّ السِّرارُ لَهُ وعن قَرِيبٍ ظَلامُ اللَّيْلُ يَنْسَدِلُ[١]

١١٦- فكيف إن كان خيرُ الخَلْقِ قائِدُهمْ يَنامُ طَوْراً ولِلْأَسْحارِ يَهْتَبِلُ

١١٧- سَعِدتُمُ ياصِحابَ المصطفى فَلَكُمْ في نُورِ أَحْمَدَ من بَدْرِ الدُّجَى حِوَلُ[٢]

١١٨- إذا يكونُ لِنُورِ البَدْرِ بَهْجَتُهُ فَنُورُ أحمدَ أَبْهَى فَهْوَ مُتَّصِلُ

١١٩- يَفُوقُ بَدْرَ الدُّجَى قد عَزَّ مَطْلَبُهُ وفي النَّهارِ اعْتَرَى شَمْسَ الضُحَى خَجَلُ

١٢٠- ربُّ الوُجُودِ حَبا المختارَ أَحْسَنَ ما في النَّيِّرِين فَنُورُ المصطفى شُعَلُ[٣]

١٢١- وليس أحمدُ إلّا الخيرَ أَجْمَعَهُ وضَرْبَةُ الشَّمْسِ فيها المَوْتُ والثَّكَلُ[٤]

---

[٣] الكِلل بكسر الكاف جمع كِلّة وهي سِتْرٌ رقيق مثقّب.

[٤] البيض: السّيوف. الأسل: الرّماح.

[٥] النَّفَل: الغنيمة.

[٦] طوال، بفتح الطّاء: طول. تعتمل: تجتهد في العمل والسَّير.

[١] السِّرار، بكسر السِّين: آخر ليلةٍ في الشّهر.

[٢] حِوَل: تحوّل وانتقال.

[٣] النّيّران: الشّمس والقمر.

[٤] هنا إشارةٌ إلى الآية الكريمة السّادسة والأربعين من سورة الأحزاب. قال تعالى:﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا﴾ فثمّة وصفٌ له ﷺ بالسّراج. والسّراج الشّمس وهي مضيئةٌ مشتعلة لأنّها نجم.أمّا القمر فهو منير باردٌ لأنّه كوكب.

١٢٢ – محمّـــدٌ شَمْسُـــهُ لِلْكُفْـــرِ حارِقَـــةٌ ونُـــورُهُ لِعبـــادِ اللهِ مُشْـــتَمِل

١٢٣ – محمّـــدٌ أَمَّ ذاك الفَجْـــرَ كَوْكَبَـــةً مـن الصِّـحابِ وهـذا دَمْعُهُـمْ هَطِـل

١٢٤ – بِكُـلّ أَرْضٍ يُصَـلّي المصـطفى نَفَـرٌ مـن الصِّـحاب لهـم في مَسْـجِدٍ عَمَـل

١٢٥ – فَلَسْـتَ أنـت بِمُحْتـاجٍ لِمَعْرِفَـةٍ عـن المراحِـلِ فيهـا يَبْـرُكُ الجَمَـل

١٢٦ – يُغْنِيـكَ عـن ذاك تَشْـيِيدٌ لِمَسْـجِدِهِ في كُـلّ أَرْضٍ بهـا قـد حَطَّـتِ الإِبِـل

١٢٧ – ياأُمَّـــةَ الحَـــقّ إنّ الخَيْـــرَ أَجْمَعَـــهُ في البَيْـتِ لِلهِ يَبْـنِي الخـائِفُ الوَجِـل

١٢٨ – وكيـف يُعْـرَفُ جُنْـدُ اللهِ قـد كَثُـرُوا إلّا بِرَفْـــعِ أذانٍ والـــدُّجَى ظُلَـــل

١٢٩ – يَشُـــقُّ كالسَّـــهْمِ أُذْناً غَيْـــرَ واعِيَـــةٍ وَيُسْـــرِعُ الـــدَّقَّ في قَلْـــبٍ بِـــهِ عَطَـــل

١٣٠ – صَـلَّى الرّسـولُ بِـذاك الحَشْـدِ أَجْمَعِـهِ في الخَبْـتِ لـيس بِـهِ رَسْـمٌ ولاطَلَـل[٥]

١٣١ – وعـادَةُ الرَّكْـبِ سَـيْرُ اللَّيْـلِ أَجْمَعِـهِ وراحَـــةٌ في نَهَـــارٍ والحَصَـــى شُـــعَل

١٣٢ – وكـان أحمـدُ سـاقَ الهَـدْيَ قَلَّـدَه مِـنْ أَجْـلِ نَحْـرٍ إذا ماقـد أَتَـى أَجَـل[١]

١٣٣ – وكـان بَعْـضُ صِحابِ المصطفى فَعَلُـوا لِمِثْـلِ ذلـك بِالبُـدْنِ الّـتي بَـذَلُوا[٢]

١٣٤ – جمـيعهم كـان خَيْـرُ الخَلْـقِ أُسْـوَتَه في كُـلِّ مـاتَرَكُوا في كُـلِّ مـاعَمِلوا

١٣٥ – اللهُ بارِئُنـــا في الـــذِّكْرِ يَأْمُـــرُنا بِأن يكـون لنـا في المصـطفى مَثَـل[٣]

١٣٦ – إذا نَهَـــانا رســـولُ اللهِ نَمْتَثِـــلُ وكُـــلُّ مـــايَأْمُرُ المختـــارُ نَهْتَبِـــل

١٣٧ – صِـحابُ أحمـدَ إنّ الكُـلَّ يَغْـبِطُكُمْ حِبـــالُكُمْ بِرســـولِ اللهِ تَتَّصِـــل

١٣٨ – تَـــرَوْنَ أحمـــدَ في حِـــلٍّ وفي سَـــفَرٍ ورُبَّمَـــا حَظُّكُـــمْ مـــن كَفِّـــهِ القُبَـــل

١٣٩ – ونحـــن نَسْـــأَلُ رَبَّ العَـــرْشِ بارِئَنـــا بِأن نَـــراهُ بِنَـــوْمٍ لَيْتَنـــا نَصِـــل

١٤٠ – مَضَـى الرّسـولُ يَـؤُمُّ الرَّكْـبَ قـد بَـذَلُوا جُهـــودَهُمْ وبَعِيـــدٌ مـــنهمُ مَلَـــل[٤]

---

[٥] الخبت من الأرض ماانخفض واتّسع.

[١] تقليد الهدي: تعليق شيءٍ في عنقه ليعلم أنّه هدي.

[٢] البدن جمع بدنة وهي النّاقة.

[٣] مثل: أسوة حسنة.

[٤] ملل، بلفظ الملل من الملال: منزل على طريق المدينة إلى مكّة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة.

١٤١ – هي المراحِلُ كان القومُ قد وَضَعُوا ... بها الرِّحالَ مِراراً بعد أن نَزَلوا

١٤٢ – حتّى إذا بَلَغُوا عُسْفانَ قال لهم ... خيرُ الوَرَى إنّ ذا الوادي لَهُ ثِقَل[٥]

١٤٣ – قِدْماً بِهِ مَرَّ هودٌ راكباً جَمَلاً ... وصالِحٌ وكلا العَبْدَيْنِ يَبْتَهِل

١٤٤ – لِكَيْ يُحُجّا وليفٌ حَبْلُ ما رَكِبا ... وفي تَواضُعِ كُلٍّ يُضْرَبُ المَثَل

١٤٥ – وَحْيٌ من الله يأْتي المصطفى أَبَداً ... هي المكارِمُ لِلْأَخْلاقِ تَنْتَقِل

١٤٦ – هي المكارِمُ لِلْأَخْلاقِ جاءَ بها ... رُسْلُ المليكِ وبالمختارِ تَكْتَمِل

١٤٧ – ومَنْ يضارِعُ طهَ في تواضُعِهِ ... وزُهْدِهِ أَرَأَيْتَ الرَّحْلَ يَرْتَحِل

١٤٨ – هذا الّذي رَحْلُهُ بَعْضُ الدَّراهِمِ لا ... تُجاوِزُ الكَفَّ يَخْشَى بَطْشَهُ الدُّوَل

١٤٩ – اللهُ بارِئُهُ بِالرُّعْبِ ناصِرُهُ ... إذا مَضَى فَهِرَقْلٌ مِلْؤُهُ الوَجَل

١٥٠ – بِفَضْلِ ربّكَ لم يَجْرُؤْ ذَوُو سَفَهٍ ... على الأَذِيَّةِ والمختار مُنْشَغِل

١٥١ – أَعْداءُ أحمدَ كُلٌّ بات مُقْتَنِعاً ... بِأَنَّ مِخْلَبَهُ لو مَدَّهُ يَصِل

١٥٢ – جميعُ أعْدائِهِ أَرْخَوْا رُءُوسَهُمُ ... أُنُوفُهُمْ ناهَا من ذُلِّها وَحَل

١٥٣ – الفَضْلُ للهِ رَبِّي لاشَرِيكَ لَهُ ... كُلُّ الّذي قَدَّرَ الجبّارُ يُمْتَثَل

١٥٤ – أما رَأَيْتَ مُلُوكَ العُرْبِ قد وَفَدَتْ ... على الرّسولِ وبالإسْلامِ تَحْتَفِل

١٥٥ – ومَنْ هُمُ؟ إنّهم مَنْ دَوَّخُوا دُوَلاً ... في وَمْضَةِ البَرْقِ أَقْصَى الأَرْضِ قد وَصَلوا

١٥٦ – اللهُ سَخَّرَهُمْ للمصطفى فَهُمُ ... وكُلُّ ما مَلَكُوا للمصطفى ذُلُل[١]

١٥٧ – العُرْب لم يَخْضَعُوا إلّا لِبارِئِهِمْ ... ودِينِهِمْ وبِكَفِّ المصطفى الشُّعَل

١٥٨ – كتابُ ربّكَ مَحْفُوظٌ بِقُدْرَتِهِ ... وَسُنَّةُ المصطفى تَفْسِيرُهُ الخَضِل[٢]

١٥٩ – وليس لِلْعُرْبِ وَزْنٌ دون حِفْظِهِمُ ... بِكُلِّ وَعْيٍ دُرُوساً صاغَها البَطَل

١٦٠ – بِقَوْلِهِ وبِأفعالٍ لَهُ كَرُمَتْ ... إذا يُصَلِّي وحين الجُنْدُ تَقْتَتِل

١٦١ – الحَقُّ في حاجَةٍ لِلسَّيْفِ تُشْهِرُهُ ... لِمَنْ يُعادِي ومافي وَجْهِهِ خَجَل

---

[٥] عسفان، بضمّ أوّله وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون: قرية من مكّة على مرحلتين.

[١] ذلل، جمع ذلول أي مسخّر.

[٢] الخَضِل: النّديّ الباهي الطّلعة الوارف الظّلال.

١٦٢ – وهـل هنـاك أُناسٌ قـد طَغَـوْا وبَغَـوْا كَأَهْـلِ مكّـةَ حَـتَّى الأَهْـلَ قـد قَتَلـوا

١٦٣ – هل أَغْمَدُوا السَّيْفَ إلّا بعد أن شُفِيَتْ في سـاحَةِ المـوتِ مِـنْ أَجْسـامِهِمْ عِلَـل

١٦٤ – ومـن هُـمُ؟ إنَّهُـمْ قـومٌ عَـداوتُهُمْ لـولا المُهَـيْمِنُ لايُلْفَـى لهـا قِبَـل[٣]

١٦٥ – وانْظُرْ إلى الحَرْبِ بين المصطفى نَشِبَتْ وبـين أَقْوامِـهِ واعْجَـبْ لِمَـنْ جَهِلـوا

١٦٦ – هُـمُ العَـدُوُّ ولـو للمصـطفى انْتَسَـبُوا أخـوك في الـدِّينِ مَـنْ بِالحَـجِّ يَحْتَفِـل

١٦٧ – أُنْظُـرْ إلى المصـطفى في الصَّـحْبِ قـد لِحَـجِّ بَيْـتٍ وكُـلٌّ دَمْعُـهُ هَطِـل[٤]

قَـدِموا وكيـف لا وصِـحابُ المصـطفى الأُوَل[٥]

١٦٨ – هـي الأُخُـوَّةُ في الإسْـلامِ قـد ظَهَـرَتْ هُـمُ الّـذين بِخَـوْفِ اللهِ قـد فَضُـلُوا

١٦٩ – هُـمُ الّـذين رسـولُ اللهِ يَقْـدُمُهُمْ وبِاقْتِـداءٍ بِكُـلٍّ يُـؤْمَنُ الزَّلَـل

١٧٠ – هُـمُ النُّجُـومُ بِأيِّ تَهْتَـدِي تَصِـلُ لِلشَّـيْءِ قـد بَجَّلُـوا للشَّـيءِ قـد فَعَلـوا

١٧١ – هُـمُ الّـذين مِـنَ المختـارِ قـد أَخَـذُوا هُـمُ الّـذين بِطـهَ طابَـتِ المُقَـل

١٧٢ – قـال الرّسـولُ خُـذُوا عـنِّي مَناسِـكَكُمْ مِـنْ نَبْعِـهِ تُمْـلَأُ الكِيـزانُ والقُلَـل[١]

١٧٣ – هُـمُ الّـذين لهـم في المصـطفى مَثَـلُ يَـؤُمُّ مكّـة لاخَـوْفٌ ولاوَجَـل

١٧٤ – وهـاهو المصـطفى مـن فَضْـلِ بارِئِـهِ في كُـلِّ قَـوْلٍ وفِعْـلٍ إنّـهُ المَثَـل

١٧٥ – هـو المُلَـبِّي وكُـلُّ النّـاسِ تَتْبَعُـهُ أَرْجـاؤُهُ فَبِـهِ للمصـطفى نُـزُل

١٧٦ – حَتّى أَتَى ذا طُوَى الوادِي الّذي اتَّسَعَتْ وكـان مـن بِئْرِهـا قـد باتَ يَغْتَسِـل[٢]

١٧٧ – بِـذِي طُـوَى صـادَفَ المختارُ مَضْـجَعَهُ وَصَـحْبُهُ واسْـتَراحُوا في غَـدٍ شُـغُل

١٧٨ – أَمْضَـى الرّسـولُ بِقُـرْبِ البَيْـتِ لَيْلَتَـهُ وكـاد في الشَّـرْقِ فَجْـراً يُلْمَـحُ الأَسَـل[٣]

١٧٩ – حَـتّى إذا الفَجْـرُ قـد لاحَـتْ أَشِـعَّتُهُ صَـلاتُهُ بِأَذانٍ كُلُّـهُ عَسَـل

---

[٣] قِبَل: طاقة.

[٤] هطل: هاطل.

[٥] أي كيف لا وهؤلاء هم أوائل الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم.

[١] الكيزان بكسر الكاف جمع كوز بضم الكاف، إناء بِعُرْوة يشرب به الماء. والقُلَلَ بضمّ القاف جمع قُلّة إناءٌ من الفخّار يشرب منها.

[٢] المضجع، بفتح الجيم: موضع الاضطجاع ووضع الجنب على الأرض.

[٣] الأسل: الرّماح على التّشبيه. فأشعّة الفجر تشبه الرّماح الضّوئيّة.

١٨٠ – نادَى بِـلالٌ بِأنَّ الفَجْـرَ قـد وَجَبَـتْ ... إذا يُرَتِّـــلُ دَمْـــعُ العَـــيْنِ يَنْهَمِـــل

١٨١ – أَمَّ المُصَـلّين خَيْـرُ الخَلْـقِ كُلِّهِـمُ ... وكيـــف والمصـــطفى لِلهِ يَبْتَهِـــل

١٨٢ – فكيـف والفَجْـرُ جُنْـدُ اللهِ تَشْـهَدُهُ ... في دِيـــنِهِمْ وصُـــفُوفُ القـــومِ تَتَّصِـــل

١٨٣ – صَلاةُ فَجْرٍ دَلِيلُ القَوْمِ قـد نَشِطُوا ... يَضُـــمُّهُ فـــارْفَعُوهُ لِلْعُـــلا تَصِـــلُوا

١٨٤ – يأُمَّـةَ الخَـيْرِ كُـلُّ الخَـيْرِ مَسْـجِدُكُمْ ... إلّا إذا كـــان لِلْقُـــرْآنِ يَمْتَثِـــل

١٨٥ – ولـيس ثَمَّـةَ دَرْبٌ لِلعُـلا يَصِـلُ ... رأَيْـتُمُ المصـطفى يَمْشِـي ويَرْتَجِـل

١٨٦ – سَـعِدتُمُ ياصِـحابَ المصـطفى فقلـد ... وقـت الضُّـحَى ولِصَـحْبِ المصـطفى زَجَـل[٤]

١٨٧ – ويَرْكَـبُ النّاقـةَ القَصْـواءَ قـد رُحِلَـتْ ... يَمْضِـي إلى البَيْـتِ في الأصْـحابِ تَعْتَمِـل[٥]

١٨٨ – محمّـــدٌ خَيْـــرُ خَلْـــقِ اللهِ كُلّهِـــمُ

١٨٩ – يُرِيـدُ مَكَّـةَ مـن سَـفْحِ الحَجُـونِ أَتَـى ... إلى الشَّـــمالِ قَلِـــيلاً يَقْبَـــعُ الجَبَـــل[١]

١٩٠ – ومِـنْ هنالـك قـد تَمَّ النُّـزُولُ ضُـحَى ... لِسـاحَةِ البَيـتِ حيـث الكُـلُّ يَحْتَفِـل

١٩١ – حَـتّى إذا وَقَعَـتْ عَـيْنُ الرّسـولِ علـى ... بَيْـتِ المليـكِ وقَلْـبُ المصـطفى وَجِـل

١٩٢ – دَعـا الرّسـولُ إلـهَ العَـرْشِ بارِئَـهُ ... مَزِيـدَ عِـزٍّ علـى ذا البَيْـتِ يَنْهَمِـل

١٩٣ – ويَغْمُـرُ العِـزُّ مـن زارُوهُ وامْتَثَلُـوا ... وكُـلُّ خَـيْرٍ يـواتِيهِمْ لَـهُ اهْتَبَلُـوا

١٩٤ – مَشَـى الرّسـولُ وكُـلُّ الصَّـحْبِ تَتْبَعُـهُ ... لِكَـيْ يَطُوفُـوا بِهـذا يَبْـدَأُ العَمَـل

١٩٥ – كُـلُّ البُيُـوتِ تُحَيَّـا بالصَّـلاةِ بِهـا ... وبِالطَّـوافِ يُحَيِّـي البَيْـتَ مُبْتَهِـل

١٩٦ – هـذا الّـذي يَفْعَـلُ الهـادِي وصُـحْبَتُهُ ... هـذا الّـذي قـد وَعَـى بـل قـد رَوَى الأَزَل[٢]

١٩٧ – حَـتَّى إذا كـانَ بَعْـدَ الـرُّكْنِ مـن يَمَـنٍ ... وقُـــرْبَ أَسْـــوَدَ بالآفـــاقِ يَتَّصِـــل[٣]

١٩٨ – مَضَـــى إلى حَجَـــرٍ حَـــتّى يُقَبِّلَـــهُ ... مِـــنَ الرّسـولِ هنـا قـد طالَـتِ القُبَـل

---

[٤] زجل: صوت مرتفع بالتّلبية.

[٥] تعتمل: تجتهد مرتفع في عملها.

[١] الحجون بفتح الحاء: الجبل الّذي يطلّ على المعلاة قبور أهل مكّة في أعلاها.

[٢] الأزل: القِدم.

[٣] الأسود: الحجر الأسود. بالآفاق يتّصل: ليس من حجارة الأرض فيما يقال.

١٩٩- وطـالَ منـه دُعـاءٌ والنَّحِيـبُ عَـلا ... وكـان في الـرُّكْنِ مـن دَمْـعٍ لَـهُ بَلَـل[٤]

٢٠٠- وحينمـا الْتَفَـتَ المختـارُ كـان هنـا ... وراءَهُ عُمَـــرُ الفـــاروقُ يَنْفَعِـــل

٢٠١- ودَمْـعُ عَيْنَيْـهِ كـالنَّهْرِينِ قـد جَـرَيا ... والرَّعْـدُ في الصَّـدْرِ لـولا الكَظْـمُ يَنْفَتِـل[٥]

٢٠٢- قـالَ الرّسـولُ دُمـوعُ المَـرْءِ ياعُمَـرُ ... هنـا تَسِـيلُ وقـد فاضَـتْ بِهـا المُقَـل

٢٠٣- هنـاك كَبَّـرَ خـيرُ الخَلْـقِ كُلِّهِـمُ ... دَلِيـلَ بَـدْءِ طـوافٍ بَعْضُـهُ رَمَـل[٦]

٢٠٤- في عُمْـرَةٍ لِقَضـاءٍ يَلْـزَمُ الرَّمَـلُ ... دَلِيـلَ قُـوَّةِ مَـنْ عُمْـرَتْهُمُ بَـدَل[٧]

٢٠٥- واليـومَ خـيرُ عِبـادِ اللهِ كُلِّهِـمُ ... يَمْضِـي علـى مـاجَرَتْ أَيّامُـهُ الأُوَل

٢٠٦- كَيْ يُـدْرِكُ الخَصْـمُ أنّ القـومَ قـد رَمَلُـوا ... هُـمُ الأَشِـدّاءُ إن حَلُّـوا وإن رَحَلـوا

٢٠٧- وتلـك سُـنَّةُ خَـيْرِ الخَلْـقِ كُلِّهِـمُ ... ولـيس يَوْمـاً لنـا عـن سُـنَّةٍ حِـوَل[١]

٢٠٨- كُـلُّ الّـذي يَفْعَـلُ المختـارُ نَفْعَلُـهُ ... بِأَمْـرِ رَبِّـكَ لاحَيْـفٌ ولازَلَـل

٢٠٩- يَـدْعُو الرّسـولُ بِكِلْتـا الحُسْـنَيينِ إذا ... تَجـاوَزَ الـرُّكْنَ والأَصْـحابُ تَبْتَهِـل[٢]

٢١٠- في هـذه الـدّارِ حُسْـنَى ثُمّ يَتْبَعُهـا ... في جنّـةِ الخُلْـدِ أُخْـرَى إن زكـا العَمَـل

٢١١- بعـد الطَّـوافِ رسـولُ الله يَنْتَقِـلُ ... إلى المَقَـامِ وَأَمْـرَ اللهِ يَمْتَثِـل[٣]

٢١٢- هنالك المصطفى صَلَّى وقد سَكَبَتْ ... عَيْنـاهُ دَمْعـاً غَزِيـراً إنَّـهُ هَطِـل

٢١٣- بعـد الصَّـلاةِ وتَسْـلِيمٍ علـى حَجَـرٍ ... مِـنْ حَقِّـهِ وَقْـتَ أن صـافَحْتَهُ قُبَـل

٢١٤- أَتَـى لِزَمْـزَمَ نِعْـمَ المـاءُ يَشْـرَبُهُ ... لِحاجَـةٍ أو شِـفاءٍ مـن بِـهِ عِلَـل

---

[٤] النّحيب: البكاء بصوتٍ مرتفع.

[٥] ينفتل: ينصرف وينفجر.

[٦] الرَّمَل: الهرولة في المشي وذلك في الأشواط الثّلاثة الأول.

[٧] عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة بدل العمرة الّتي لم تتمّ في صلح الحديبية في ذي القعدة من سنة ستّ من الهجرة.

[١] حول: انتقال وتحوّل.

[٢] المراد الرّكن اليماني.

[٣] المقام: مقام إبراهيم عليه السّلام. وأمر الله تعالى في قوله عزّ من قائل في سورة البقرة الآية رقم ١٢٥: ﴿واتّخذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى﴾

٢١٥- هـو الشِّـفاءُ لِـنَفْسِ المَـرءِ أو جَسَـدٍ ... هــو المُــنى إِذْ بِنــارِ الصِّــدْقِ تَتَّصِــل

٢١٦- عَـبَّ الرّسـولُ مـن المـاءِ المبـارَكِ مـا ... يُطِيــق عَبّــاً ومــايَقْوَى بِــهِ الأَمَــل

٢١٧- مَضَـى الرّسـولُ لِيَسْـعَى مِثْلَمـا فَعَلَـتْ ... مِــنْ قَبْــلُ هــاجَرَ أَدْنَى سَــعْيِها عَجِــل[٤]

٢١٨- كُــلُّ الّــذي يَفْعَــلُ المختــارُ يَحْمِلُنــا ... علــى الرُّجُــوعِ لِمــاضٍ خَطَّــهُ الأَزَل[٥]

٢١٩- إذا يُصَــلّي رســولُ اللهِ تَحْمِلُنــا ... صَــلاتُهُ لِأَبِي إِسْــحاقَ يَعْتَمِــل[٦]

٢٢٠- اللهُ يَأْمُــرُهُ بِالبَيْــتِ يَعْمُــرُهُ ... في بَطْــنِ مَكَّــةَ حَيْــثُ الصَّــخْرُ والجَبَــل

٢٢١- المــاءُ يَنْقُصُــهُ والــزَّرْعُ يَفْقِــدُهُ ... ولــيس ثَمَّــةَ لاناقٌ ولا إِبِــل

٢٢٢- لكــنّ ثَمَّــةَ إيمــاناً بِبارِئِــهِ ... صــارَتْ بِــهِ النّــارُ بَــرْداً باتَ يُحْتَمَــل

٢٢٣- أَبُــو النّبيّــينَ إبــراهيمُ قــد عَمِلَــتْ ... يَــداهُ في رَفْــعِ بَيْــتٍ شَــأنُهُ جَلَــل

٢٢٤- أعانَــهُ فِيــهِ إِسْماعيــلُ إنّ لَــهُ ... يَــداً تَبَــرُّ أَباً بِالخَــيْرِ يَنْشَــغِل

٢٢٥- بِأَمْــرِ رَبِّــكَ بَيْــتُ اللهِ يَعْمُــرُهُ ... أبــو النَّبِيّــينَ في تَــلٍّ لَــهُ قُلَــل

٢٢٦- بِــبَطْنِ مَكَّــةَ في وادٍ لَــهُ نَسَــبٌ ... بِمَــنْ بَــنَى البَيْــتَ حيــث الحــرُّ يَشْــتَعِل[١]

٢٢٧- وقــد أجــابَ إلــهُ العَــرْشِ دَعْوَتَــهُ ... هِــيَ القُلُــوبُ لَــهُ تَهْفُــو وتَنْتَقِــل

٢٢٨- بِأَمْــرِ رَبِّــكَ رَغْــمَ الجُهْــدِ تَبْذُلُــهُ ... فَأَنْــتَ تَأْسَــى إذا أوشَــكْتَ تَرْتَحِــل

٢٢٩- هـو الـدَّلِيلُ على الإيمـانِ قـد رَسَخَتْ ... أوتادُهُ ولَــهُ في القَلْــبِ مُــدَّخَل[٢]

٢٣٠- أَبُــو النّبيّــيْنَ ربُّ العَــرْشِ يَأْمُــرُهُ ... بِأن يُطَهِّــرَ بَيْتــاً لِلّــذي يَئِــل[٣]

٢٣١- مَنْ طافَ بِالْبَيْتِ مَنْ صَلَّى وقد خَشَعَتْ ... مِنْــهُ الجَــوارِحُ مــن لِلْخَــيْرِ يَهْتَبِــل

٢٣٢- مَــنْ باتَ يَسْــعَى لِحَــجٍّ أو لِعُمْرَتِــهِ ... مَــنْ كــان مِنْــهُ دُمُــوعُ العَــيْنِ تَنْهَمِــل

---

[٤] هاجَر، بفتح الجيم: أمّ إسماعيل عليه السّلام.

[٥] الأزل: القدم.

[٦] أبو إسحاق: إبراهيم والد إسحاق وإسماعيل عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه. يعتمل: يعمل بِجِدٍّ واجتهاد.

[١] المراد وادي إبراهيم الخليل عليه السّلام.

[٢] المدّخل: شبه الغار يدخل فيه.

[٣] يئل: يرجع ويلجأ.

٢٣٣– مـن كـانَ جـاراً لَـهُ أو جـاءَ زائِـرَهُ يَبْغِـــي الأَمـــانَ إلى أن يَأْتِيَ الأَجَـــل

٢٣٤– كُـلُّ الّـذي يَفْعَـلُ المختـارُ يَسْـبِقُهُ لِفِعْلِـــهِ جَـــدُّهُ والـــوَحْيُ مُتَّصِـــل[٤]

٢٣٥– جـاءَ الرّسـولُ الصَّـفا لِلسَّـعْيِ مُبْتَـدِئاً بِـــهِ ولِقَـــوْلِ الحَـــقِّ يَمْتَثِـــل[٥]

٢٣٦– أَوْحَى المليكُ بِأَنَّ السَّعْيِ قد سَبَقَتْ إليـهِ هـاجَرُ حيـث المـاءُ يُحْتَمَـل[٦]

٢٣٧– أُمٌّ رَءُومٌ رأت مَـوْتاً يُطـارِدُ مَـنْ رَأَتْـهُ بِالقَلْـبِ قبـل العَـيْنِ تَحْتَفِـل[٧]

٢٣٨– لم تَـرْضَ مَنْظَـرَهُ قـد مـاتَ مـن عَطَـشٍ ولايكـون لهـا مـن أَجْلِـهِ شُـغُل

٢٣٩– ذاك الوَحِيـدُ ابْنُهـا وَهْـوَ الأَنِـيسُ لهـا بعـد المليـك بِـوادٍ مابِـهِ وَشَـل[١]

٢٤٠– مِنْ أجْلِهِ انْطَلَقَتْ تَرْقَى الصَّفا صُعُداً فلـيس يُوجَـدُ أَدْنَى مـن صَـفا جَبَـل

٢٤١– لم تَلْقَ فيه من الماءِ الّذي طَلَبَتْ شـيئاً فَـزادَ بهـا مـن أَجْلِـهِ ثِقَـل

٢٤٢– عـادت سَـرِيعاً إلى وادٍ يسـير بهـا لِمَـرْوَةٍ يَخْتَفِـي في صَـدْرِها شُـعَل[٢]

٢٤٣– قد صارَ حَظُّ الصَّفا حظّاً لِمَرْوتِهِ كـلا الشَّـقِيقَيْنِ لامـاءٌ ولاخَضِـل[٣]

٢٤٤– عادَتْ سَرِيعاً إلى الطِّفْلِ الّذي تَرَكَتْ يُصـارِعُ المـوتَ إذ في وَجْهِـهِ ظُلَـل

٢٤٥– لايَأْسَ مـن رَحْمَـةِ الـرّحمنِ بارِئِنـا لايَعْـرِفُ اليَـأْسَ إلّا الكـافِرُ الخَبَـل[٤]

---

[٤] جَدّه: إبراهيم عليه السّلام. فقد بعث الله تعالى محمّداً ﷺ بالحنيفيّة السَّمحة دين إبراهيم عليه السّلام.

[٥] أي بدأ المصطفى ﷺ السّعي بما بدأ القرآن الكريم به وهو الصّفا وذلك في الآية الكريمة الثّامنة والخمسين بعد المائة من سورة البقرة. قال تعالى:﴿ إنّ الصّفا والمروة من شعائر الله﴾

[٦] يحتمل: يحتمل وجوده.

[٧] الأمّ الرّءوم: العاطفة على ولدها الملازمة له.

[١] وَشَل: ماءٌ قليل يتحلّب من جبلٍ أو صخرةٍ ولايتّصل قطره.

[٢] المروة: جبلٌ بمكّة ينتهي عنده السّعي. والمرو: حجارة بيض رقاق برّاقة تقدح منها النّار.

[٣] خضل: نبات رطب.

[٤] الخبل: الفاسد الأحمق المجنون.

٢٤٦- من فَضْلِ ربّكَ كان الطِّفْلُ مُحْتَضَراً لكنّهُ الصَّدْرُ فيه الدَّقُّ والزَّجَل[٥]
٢٤٧- قد كانت الرُّوحُ لِلْحُلْقُومِ قد بَلَغَتْ وأُمُّهُ دَمْعُها كالسَّيلِ يَتَّصِل
٢٤٨- وليس يَعْنِي بَقاءُ الأُمِّ تَرْقُبُهُ إلّا انْتِظاراً لِمَوْتٍ ريثما يَصِل
٢٤٩- وليس ذا من طِباعِ المؤمنين لهمْ في ربِّهم أَمَلٌ من ذاتِهِمْ عَمَل
٢٥٠- عُودِي سَرِيعاً لِنَيْلِ الماءِ يُنْقِذُهُ بِإذنِ رَبِّكِ كُلُّ المؤمِنِ الأَمَل
٢٥١- عادَتْ سَرِيعاً إلى ماقَبْلُ قد عَمِلَتْ بين الصَّفاتين سَبْعاً سوف تَنْتَقِل[٦]
٢٥٢- إذا تَرُوحُ فَمِنْ طِفْلٍ تُوَدِّعُهُ إذا تَجِيءُ تَرَى ماليس يُحْتَمَل
٢٥٣- اللهُ بارِئُها بالصَّبْرِ جَمَّلَها مع اليَقِينِ بِهِ لايُعْرَفُ الكَلَل
٢٥٤- كان المَسِيرُ بِأُمِّ العُرْبِ جاءَ بِها لِمَرْوَةٍ صَعِدَتْها ليس تَرْتَجِل[٧]

٢٥٥- لكنْ بِأظْفارِها تلك الّتي غَرَسَتْ حَتَّى تَبَدَّتْ كما لَوْ أنَّها وَعِل[١]
٢٥٦- مَنْ ذا يَلُومُ رَءُوماً أَبْصَرَت كَبِداً لها يَتَلَظَّى وَهْيَ تَنْفَعِل[٢]
٢٥٧- فكيف إن كان ماجاءَتْهُ بارَكَهُ رَبُّ الوَرَى وعليه السَّعْيُ يَتَّكِل
٢٥٨- لمّا ارْتَقَتْ أُمُّنا صَخْراً أُتِيحَ لها بأن تَقُولَ أَجُهْدِي كُلُّهُ فَشَل!
٢٥٩- لاعَيْنَ أُبْصِرُها لابِئْرَ أَرْقُبُها لاشَخْصَ أَسْأَلُهُ ربّاهُ ماالْعَمَل؟
٢٦٠- الكونُ أَجْمَعُهُ قد ضاقَ أَوْسَعُهُ في عَيْنِ من عَمِلَتْ لِلطِّفْلِ تَنْتَشِل
٢٦١- اللهُ بارِئُها قد كان بارَكَها كُلُّ الّذي عَمِلَتْهُ الخيرُ مُتَّصِل

---

[٥] محتضر: حضره الموت.
[٦] الصّفاة: الحجر العريض الأملس. والمراد بالصَّفاتين الصَّفا والمروة.
[٧] ليس ترتجل: لاتمشي على رجليها.
[١] الوعل: تيس الجبل.
[٢] يتلظّى: يحترق.

٢٦٢- مِنْ قَبْلُ صاحِبُها قد كان أَخْبَرَها ... بِأَنَّـــهُ دائِمـــاً لِلْـــوَحْيِ يَمْتَثِـــل[٣]

٢٦٣- اللهُ بارِئُـــهُ بِالـــوَحْيِ يَأْمُـــرُهُ ... بِأن يكـــونَ لِـــوادٍ قاحِـــلٍ قَفَـــل[٤]

٢٦٤- الشّـام بَلْدَتُـهُ قـد كـان بارَكَها ... بِالخَـــيرِ مَـــوْلاهُ أَرْضٌ كُلُّهـــا أُكُـــل

٢٦٥- لِحِكْمَـةٍ كـان رَبُّ العَـرْشِ يَأْمُـرُنا ... بِهِجْـــرَةٍ وبِصَـــخْرِ الـــوادِ نَنْعَـــزِل[٥]

٢٦٦- واللهُ بارِئُنـــا بِالفَضْـــلِ عَـــوَّدَنا ... لِكُـــلِّ كَـــرْبٍ إذا أَبْصَـــرْتَهُ أَجَـــل

٢٦٧- تلك المشاعِرُ قد جاشَتْ بِوالِدَةٍ ... كَأَنَّمـــا هـــي بُرْكـــانٌ لَـــهُ شُـــعَل

٢٦٨- النّـارُ مـن طَبْعِهـا صَـوْتٌ يُتابِعُهـا ... ويَسْـمَعُ الصَّـوْتَ مـن في سَمْعِـهِ ثِقَـل

٢٦٩- نَفْسِـي اهْـدَئِي عَـلَّ أُذْناً منـكِ واعِيَـةً ... تُصِـــيبُ ماأَخْطَأَتْـــهُ أَعْـــيُنٌ نُجُـــل[٦]

٢٧٠- ماكان حَظُّ الّتي أَصْغَتْ بِأَحْسَنَ مِنْ ... حَـظِّ الّـتي إِذْ رَنَـتْ عـادَتْ بِهـا كَلَـل

٢٧١- ماعـادَ يَبْقَـى لَـدَى الأُمِّ الرَّءومِ سِوَى ... وُلُـــوجِ بابٍ دَوامـــاً مالَـــهُ قُفُـــل

٢٧٢- بابُ المليكِ الّذي بِالصَّبْرِ جَمَّلَها ... ولايُضَـــيِّعُ مـــن خـــافُوهُ واعْتَـــدَلُوا

٢٧٣- لَمّا دَعَتْهُ وقد ضاقَتْ بِها الحِيَلُ ... كـــانَ الجَـــوابُ لَـــهُ جِبْرِيـــلُ يَحْتَمِـــل[١]

٢٧٤- عـادَتْ إلى الطِّفْـلِ يَحْـدُوها لـه أَمَـلُ ... كـــان الضَّـــعِيفَ ولكـــن لم يَمُـــتْ أَمَـــل

٢٧٥- حَتّى إذا مادَنَـتْ قـد أَبْصَـرَتْ رَجُـلاً ... يَبْـــدُو عليـــه وَقـــارُ الشَّـــيْبِ يَشْـــتَعِل

٢٧٦- ماكـان ذاك سِوَى جِبْرِيـلَ أَرْسَـلُهُ ... مَـنْ لـيس يَخْفَـى عليـه الهَـوْنُ والجَلَـل[٢]

٢٧٧- قالَـتْ لـه إن يَكُـنْ خَيْـرٌ فَعاجِلُـهُ ... لَمّـــا رَأَتْ طِفْلَهـــا لِلْمَـــوْتِ يَرْتَجِـــل[٣]

٢٧٨- قـد كـان بَشَّـرَها بالْخَـيْرِ يَشْـمَلُها ... وَيَشْـمَلُ الطِّفْـلَ والأَقْـوامَ لـو وَصَـلوا

٢٧٩- بِرِجْلِـهِ يَضْـرِبُ الأَرْضَ الّـتي طَهُـرَتْ ... إذا بِزَمْـــزَمَ مـــن أَعْماقِهـــا يَصِـــل

---

[٣] صاحبها: زوجها إبراهيم عليه السّلام.

[٤] قَفَل: رجوع.

[٥] الواد: الوادي.

[٦] نجل المفرد نجلاء أي واسعة.

[١] يحتمل: يحمل.

[٢] الهون، بفتح الهاء وسكون الواو: الحقير.

[٣] فعاجله:فعاجله مطلوب.

٢٨٠- مِنْ حِرْصِها بادَرَتْ لِلْحَوْضِ تَعْمَلُهُ ... كَيْ تَحْفَظَ الماءَ يأتيها بِهِ غُسُل

٢٨١- قال الرّسولُ بِأنّ الحَوْضَ قد صَنَعَتْ ... قد زَمَّ زَمْزَمَ لولا ذاك يَنْتَقِل

٢٨٢- سبحان ربّكَ مَنْ أَوْحَى لِسَيِّدِنا ... محمّدٍ كلَّ ماقالُوا ومافَعَلوا

٢٨٣- وهاهو المصطفى يَسْعَى كما فَعَلَتْ ... مِنْ قَبْلُ هاجَرُ نِعْمَ القَوْلُ والعَمَل

٢٨٤- كان الرّسولُ شدِيدَ الخَطْوِ مُسْرِعَهُ ... فكيف في مَوْضِعٍ أَحْرَى بِهِ رَمَل[٤]

٢٨٥- ورُبَّما قد بَدَتْ لِلشَّدِّ رُكْبَتُهُ ... وطافَ في خَصْرِهِ ماكان يَشْتَمِل

٢٨٦- هي الرُّجُولَةُ في أَقْوَى مَراحِلِها ... أَبْدَى الرّسولُ ومن أَهْدافِهِ الهَمَل[٥]

٢٨٧- كَيْ يَعْلَموا أَنَّ خيرَ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... وصَحْبَهُ قُوَّةٌ للشِّرْكِ تَنْتَعِل

٢٨٨- أَثْنَى الرّسولُ كما أَثْنَى صحابَتُهُ ... بِكُلِّ مايُلْهِمُ المولى ويُنْتَخَل

٢٨٩- وكان حَظُّ الصَّفا والمروةِ ارْتَفَعا ... من الدُّعاءِ كبيراً إِنَّهُ شُعَل[٦]

٢٩٠- اللهُ بارِئُنا فَرْدٌ وناصِرُنا ... عليه دون سِواهُ الدَّهْرَ نَتَّكِل

٢٩١- مَنْ وَحْدَهُ هَزَمَ الأحْزابَ كُلَّهُمُ ... ومَنْ أَعَزَّ جُنُوداً فيه تَقْتَتِل[١]

٢٩٢- مَنْ وَحْدَهُ نَصَرَ المختارَ من مُضَرٍ ... عَبْدُ المليكِ لِوَحْيِ اللهِ يَمْتَثِل

٢٩٣- وبعد أن طافَ خيرُ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... بِالْبَيْتِ والسَّعْيَ أَدَّى وَهْوَ يَعْتَمِل[٢]

٢٩٤- قد كَرَّرَ القَوْلَ قد أَبْداهُ في سَرِف ... بِقُرْبِ مَكَّةَ إِذْ جِبْرِيلُ يَتَّصِل[٣]

٢٩٥- بِأنّ مَنْ ساقَ هَدْياً باتَ يَلْزَمُهُ ... كُلُّ الّذي يَلْزَمُ الحجَّاجَ قد مَثَلوا[٤]

٢٩٦- حَتّى إذا كان يَوْمُ الحَجِّ يَنْحَرُهُ ... مِنْ بَعْدِ رَمْيٍ وحَلْقٍ إِذْ بَدَتْ خُصَل[٥]

---

[٤] الخطو: المشي.

[٥] الهمل: الإبل ليس لها راعٍ والمراد هنا المشركون.

[٦] ارتفعا: أي ارتفع الجبلان عن الوادي.

[١] فيه تقتتل: في سبيله جلّ وعلا تقتتل مع الكافرين.

[٢] يعتمل: يجتهد في السّعي.

[٣] سرف، بفتح السّين وكسر الرّاء: موضع على ستّة أميالٍ من مكّة.

[٤] مثلوا: حضروا.

[٥] الرّمي: رمي جمرة العقبة يوم النّحر. خصل: من الشَّعْر.

٢٩٧- هذا الّذي يَفْعَلُ الشَّخْصُ الّذي مَعَهُ هَـدْيٌ يَسُـوقُ وعنـد المَنْحَـرِ الأَجَـل

٢٩٨- أمّا الّذي لم يَسُقْ هَدْياً فَيُمْكِنُهُ بأن يُحِـــلَّ ولاعَتْـــبٌ ولاعَـــذَل

٢٩٩- كُـلاًّ صِحابُ رسولِ اللهِ قـد فَعَلـوا بِأَمْـــرِهِ إنّ وَحْـــيَ اللهِ مُتَّصِـــل

٣٠٠- بَعْضُ الصِّحابِ نَوَى مِثْلَ الرّسولِ لِذا قـد باتَ يَقْـرِنُ فـالإحْرامُ يَتَّصِـل[٦]

٣٠١- هذا الّذي قد نوى زَوْجُ البَتُولِ وقد أَتَـى لِمَكَّـةَ مِـن نَجْـرانَ يَرْتَحِـل[٧]

٣٠٢- وحينما لم يكُنْ هَدْيٌ لَهُ فَلَقَدْ حَبـاهُ خَيْـرُ الـوَرَى هَـدْياً بِـهِ العَمَـل

٣٠٣- وقَبْلَ عِلْمِ عليٍّ بالّذي سَمَحَتْ نَفْـسُ النَّـبِيِّ بِـهِ فـالزَّوْجُ تكْتَحِـل[٨]

٣٠٤- قد راعَهُ الشَّيْءُ بِنْتُ المصطفى فَعَلَتْ قد كان يُغْنِيكِ عن كُحْلٍ بِكِ الكَحَل

٣٠٥- وتَلْبَسِـينَ مِـن الأَثْـوابِ زاهيـةً في الحَـجِّ فـاطِمُ أَنْـتِ القُـدْوَةُ المَثَـل!

٣٠٦- هنـاك سِـتُّ نِساءِ العالمينَ رَنَتْ لِزَوْجِهـــا وبِلَفْـــظٍ كُلُّـــهُ ثِقَـــل

٣٠٧- قالَتْ أَبِي مَنْ بِهذا الفِعْلِ يَأْمُرُنِي وإنّـــنِي لِأَبِي أُصْـــغِي وأَمْتَثِـــل

٣٠٨- مَضَـى عَلِـيٌّ إلى المختـارِ يُبْلِغُـهُ فَقَـالَ قـد صَـدَقَتْ فافْعَلْـهُ يارَجُـل

٣٠٩- لكنْ عَلِيٌّ نَوَى النُّسْكَ الّذي سَمَحَتْ نَفْـسُ النّـبِيِّ بِـهِ والهَـدْيُ مُكْتَمِـل

٣١٠- أَبُـو تُـرابٍ رسـولُ اللهِ يُشْـرِكُهُ في هَدْيِـهِ إنّ هَـدْيَ المصـطفى رَسَـل[١]

٣١١- قَبْـلَ الوُقُـوفِ بِيَـوْمٍ سارَ سَـيِّدُنا إلى مِـنًى في الضُّـحَى والصُّـحْبَةُ الأُوَل

٣١٢- وبعـد أن طَلَعَـتْ شَمْـسٌ لِتاسِـعَةٍ كـان الرّسـولُ علـى القَصْـواءِ يَنْتَقِـل

٣١٣- إلى المكـانِ الّذي من قَبْـلُ قُبَّتُـهُ بِالْقُـرْبِ مِـن عَرَفـاتِ اللهِ قـد جَعَلـوا

٣١٤- وإذ دَنَـتْ لِـزَوالٍ شَمْـسُ جُمْعَتِـهِ قـامَ الرّسـولُ علـى القَصْـواءِ يَرْتَجِـل

---

[٦] أنواع الإحرام ثلاثة الإفراد بأن يحرم من يريد الحجّ من الميقات بالحجّ وحده. والتّمتّع، وهو الاعتمار في أشهر الحجّ، ثمّ يحجّ من عامه الّذي اعتمر فيه. والقِران بأن يحرم من عند الميقات بالحجّ والعمرة معاً. وكان النّبيّ ﷺ قارِناً.

[٧] زوج البتول: عليّ رضي الله تعالى زوج فاطمة رضي الله تعالى عنها بنت الرّسول ﷺ.

[٨] الزّوج: فاطمة رضي الله تعالى عنها.

[١] رسل: قطيع من الإبل.

٣١٥- أَلْقَى على الكَوْنِ قَوْلاً من جَوامِعِهِ وقد وعاهُ الّذي في سَمْعِهِ ثِقَل
٣١٦- مَضَتْ قُرُونٌ وهذا القَوْلُ جِدَّتُهُ تَزْدادُ دَوْماً وهذا الخَيْرُ مُنْهَمِل
٣١٧- قد بَيَّنَ القَوْلُ أُسَّ الدِّينِ قد ضُرِبَتْ أَطْنابُهُ في كتابٍ مالَهُ مَثَل[٢]
٣١٨- هي الجَوامِعُ من قَوْلِ الرَّسولِ بَدَتْ في خُطْبَةٍ من جَلِيلِ القَوْلِ يُمْتَثَل
٣١٩- يُلْقِي الرّسولُ بِعَفْوٍ كُلَّ حِكْمَتِهِ كأنّ هذا الّذي قد قالَهُ عَسَل
٣٢٠- لَفْظٌ رَشِيقٌ ومَعْنًى ليس يُخْطِئُهُ مَنْ كان في قَلْبِهِ نُورٌ بِهِ يَصِل
٣٢١- معالِمُ الدِّينِ خَيْرُ الخَلْقِ بَيَّنَها في مَوْقِفٍ فيه خَيْرُ القَوْلِ يُنْتَخَل
٣٢٢- واللهُ أَوْحَى إلى المختارِ آيَتَهُ في ذلك اليومِ إنّ الدّين يَكْتَمِل[٣]
٣٢٣- وفي الكَمالِ تَمامُ النِّعْمَةِ اتَّصَلَتْ حَتّى غَدَتْ دَوْحَةً منها أَتَى الأُكُل

٣٢٤- واللهُ يَرْضَى لنا الدِّينَ الّذي اكْتَمَلَتْ آياتُهُ في ضُحَى يَوْمٍ بِهِ رَفَلوا[١]
٣٢٥- فِيهِ الزّمانُ بَدا في الحالِ مُذْخلِقَتْ فيه السّماءُ وفيها الأَعْيُنُ النُّجُل[٢]
٣٢٦- الدِّينُ قد عادَ لِلجَبّارِ خالِقِنا والشِّرْكُ عُرّيَ والشّيطانُ يَنْخَزِل[٣]
٣٢٧- وكُلُّ خَيْرٍ بَدَتْ لِلنّاسِ وِجْهَتُهُ فَلْيَسْلُكُوا الدَّرْبَ فيه الخَيْرُ متَّصِل
٣٢٨- وكُلُّ شَرٍّ بَدَتْ للنّاسِ عَوْرَتُهُ فَلْيَهْجُرُوا الشَّرَّ حيث النّارُ تَشْتَعل
٣٢٩- فلامكانَ لِغَيْرِ الخَيْرِ تَفْعَلُهُ ولامَكانَ لِشَرٍّ خَطْبُهُ جَلَل
٣٣٠- لاثَأْرَ لاأَكْلَ مالٍ بالحَرامِ ولاارْ تِكابَ ظُلْمٍ فليس الظُّلْمُ يُحْتَمَل

---

[٢] أطنابه: حباله، والمفرد طنب، بضمّ الطّاء والنّون، وبسكون النّون.

[٣] المراد قول الحقّ جلّ وعلا في الآية الكريمة الثّالثة من سورة المائدة:﴿ اليوم أَكْمَلتُ لكم دينَكُمْ وأتممتُ عليكم نِعْمَتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا﴾.

[١] رفلوا: تبختروا سعادةً بكمال الدّين وتمام النّعمة.

[٢] المراد بالأعين النّجل: الشّهب.

[٣] ينخزل: يرتدّ ويضعف.

٣٣١- أَمّا الأُخُوَّةُ بين المسلمين فقد ... حَثَّ الرّسولُ عليها إِذْ بِها العَمَل

٣٣٢- قد بَيَّنَ المصطفى لِلنّاسِ دَرْبَهُمُ ... إذا يَسِيرُونَ فِيهِ الخَيْرُ يَنْهَمِل

٣٣٣- ولايَضِلُّونَ إن سارُوا بِهِ أَبَداً ... وليس يُخْشَى عليهم مَرَّةً زَلَل

٣٣٤- أن يَتْبَعُوا الوَحْيَ فِي ذِكْرٍ وقد وَضَحَتْ ... في سُنَّةِ المصطفى الآفاقُ والسُّبُل

٣٣٥-ياأُمَّةَ الخَيْرِ خَيْرُ الخَلْقِ يُرْشِدُكُمْ ... إلى المَحَجَّةِ فيها الخَيْرُ والأَمَل[٤]

٣٣٦- كُلُّ الّذي قد دَهانا مِنْ مُخالَفَةٍ ... لِنُصْحِهِ مِنْ أُناسٍ بَعْدُ ماصُقِلوا

٣٣٧- وليس يَعْلَمُ ماالأَيّامُ تُخْبِئُهُ ... لنا غَيْرُ رَبٍّ خَيْرُهُ يَصِل

٣٣٨- أما كَفانا بَلاءٌ بات يَشْمَلُنا ... كأَنَّهُ النّارُ قد لاحَتْ لها شُعَل

٣٣٩- وإنَّ أَوْبَتَنا لِلهِ بارِئِنا ... بِأَمْرِ رَبِّكَ فيها الخَيْرُ يَتَّصِل

٣٤٠- الضُّرُّ يَدْفَعُهُ الذُّلُّ يَرْفَعُهُ ... والعِزَّ بالذُّلِّ لِلرَّحمنِ نَهْتَبِل

٣٤١- واللهَ نَسْأَلُ دَوْماً أن يُوَفِّقَنا ... عليه دُونَ سِواهُ الدَّهْرَ نَتَّكِل

٣٤٢- قد أَشْهَدَ اللهَ خَيْرُ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... غَداةَ يَسْأَلُ هل ماقالَ قد عَقَلوا

٣٤٣- جميعهمْ قال قد أَدَّى أمانَتَهُ ... لِصَوْتِهِمْ إذ أَجابُوا المصطفى صَحَل[١]

٣٤٤- بعد الزَّوالِ رسولُ اللهِ يَنْتَقِل ... لِكَيْ يَتِمَّ وُقُوفٌ حيث يَنْتَقِل

٣٤٥- وإذْ تكونُ صَلاةُ الظُّهْرِ قد وَجَبَتْ ... فذا الأذانُ لها يَشْدُو بِهِ الصَّحِل[٢]

٣٤٦- أَدَّى الرّسولُ لها والعَصْرَ قَدَّمَهُ ... كِلْتا الصَّلاتَيْنِ قَصْرٌ ليس يَكْتَمِل

٣٤٧- فَضْلٌ من اللهِ يَخْتَصُّ الرّسولُ بِهِ ... وُأُمَّهُ المصطفى بِالفَضْلِ تَشْتَمِل

٣٤٨- إذا نَظَرْتَ رَأيتَ النّاسَ كُلَّهُمُ ... هذا مُلَبٍّ وذا داعٍ ومُبْتَهِل

٣٤٩- وكُلُّهُمْ نَحْوَ بَيْتِ اللهِ وِجْهَتُهُ ... أَعْظِمْ بِأَجْرٍ عليه النّاسُ قد حَصَلوا

٣٥٠- بعد الصَّلاةِ امْتَطَى المختارُ ناقَتَهُ ... وَسارَ لِلصَّخْرِ حيث التَّلُّ والجَبَل

---

[٤] المحجّة: الطّريق المستقيم.

[١] صحل: خشونة صوت.

[٢] الصّحل: الّذي خشن صوته بسبب التّلبية. والمراد بلال رضي الله تعالى عنه.

٣٥١- هناك قد أَوْقَفَ المختارُ ناقَتَهُ ... وَوَجْهُها بِشُعاعِ الشَّمْسِ يَغْتَسِل

٣٥٢- وظَلَّ أحمدُ يَدْعُو اللهَ مُبْتَهِلاً ... وكُلُّ مافَعَلَ الهادِي لَهُ فَعَلوا

٣٥٣- حَتّى إذا الشّمْسُ قد صارَتْ مُزَعْفَرَةً ... وغابَ منها جَبِينٌ مابِهِ عِلَل[٣]

٣٥٤- ولاحَ أنّ جُيُوشَ اللَّيْلِ زاحِفَةٌ ... يُعِينُها الزَّحْفُ لِلْأَفواج تَعْتَمِل

٣٥٥- مِنْ هٰهُنا الضَّوْءُ قد وَلَّتْ جَحافِلُهُ ... ومِنْ هُنا اللَّيْلُ قد لاحَتْ لَهُ ظُلَل

٣٥٦- خَيْرُ الوَرى أَرْدَفَ ابنَ الحِبِّ مُذْ غَرَبَتْ ... شَمْسُ النَّهارِ وراحَ النَّجْمُ يَشْتَعِل[٤]

٣٥٧- وشَدَّ من حَبْلِ ناقَتِهِ القَصْواءِ يَمْنَعُها ... مِنِ انْدِفاعٍ ومِنْ إيذاءِ مَنْ ثَقُلوا

٣٥٨- ورُبَّما أَوْمَأَ الهادِي لِمَنْ عَجِلوا ... وخافَ منهم أَذًى لِلقَوْمِ قد خُذِلوا

٣٥٩- عليكُمُ بِهُدُوءٍ باتَ يَلْزَمُكُمْ ... إنّ الضَّعِيفَ أَمِيرُ الرَّكْبِ لو عَلِموا

٣٦٠- فَإنْ رَأَى فُرْجَةً أَرْخَى لِناقَتِهِ ... زِمامَها فَبَدا في سَيْرِها رَمَل

٣٦١- لِكَيْ يُصَلِّيَ في جَمْعٍ فقد وَجَبَتْ ... إنّ الصَّلاةَ كِتابُ اللهِ يُمْتَثَل[١]

٣٦٢- حَتَّى أَتَى المصطفى جَمْعاً فَأَمَّهُمُ ... جَمْعاً وقَصْراً وقد نامُوا وماعْتَمَلوا

٣٦٣- لِكَيْ يَنالُوا بِذاكَ اللَّيْلِ راحَتَهُمْ ... ففي غَدٍ سوف يَأْتِي القَوْلُ والعَمَل

٣٦٤- أَدَّى الرَّسُولُ صَلاةَ الفَجْرِ في قُزَحٍ ... وإثْرَها يَذْكُرُ المولَى ويَبْتَهِل[٢]

٣٦٥- وكُلُّ مايَفْعَلُ المختارُ يَفْعَلُهُ ... صِحابُهُ هكذا الخَيْراتُ تَنْتَقِل

٣٦٦- قال الرّسولُ خُذُوا عَنِّي مناسِكَكُمْ ... فَرُبَّما عن قَرِيبٍ سَوْفَ أَرْتَحِل

٣٦٧- قد أَكْرَمَ اللهُ خَيْرَ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... بِأُمَّةٍ بِالّذي قد قال قد عَمِلوا

٣٦٨- أَما رَأَيْتَ مُلُوكَ العُرْبِ يَبْعَثُهُمْ ... خيرُ الوَرَى في مُهِمّاتٍ فَما خَذَلوا

---

[٣] مزعفرة: مصبوغة بلون الزّعفران.

[٤] ابن الحبّ: أسامة رضي الله تعالى عنه. والحِبّ زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه. والحِبّ كذلك أسامة رضي الله تعالى عنه.

[١] جمع: المزدلفة.

[٢] قزح: جبلٌ صغيرٌ يقف الإمام عنده بالمزدلفة.

٣٦٩- مَنْ ذا الّذي أَخْضَعَ الأَقْوامَ قد شَمَخَتْ ... أُنوفُها فَبِأَدْنَى سَفْحِها زُحَلِ

٣٧٠- مَوْلاكَ مَنْ سَخَّرَ الأَقْوامَ قد قَدِمَتْ ... وكُلُّها في تَأَسِّيها بِهِ أَمَلِ

٣٧١- حتّى الأُمُورُ الّتي من حَظِّ صاحِبِها ... حَقُّ الخِيارِ لَهُ في المصطفى مَثَلِ

٣٧٢- لَيْسَتْ من الدّينِ في شيءٍ وإنّ لها ... مَعْنًى إذا بِرَسولِ اللهِ تَتَّصِلِ

٣٧٣- إذا اسْتَراحَ رسولُ اللهِ في سَفَرٍ ... وآثَرَ النَّوْمَ حاكَى الصُّحْبَةُ الأُوَلِ

٣٧٤- يَهُمُّهُمْ أن يُحاكُوا المصطفى أَبَداً ... كُلُّ الّذي يَفْعَلُ المختارُ قد فَعَلوا

٣٧٥- وبعد أن أَسْفَرَ الإِصْباحُ في قُزَحٍ ... قامَ الرّسولُ وقامَ القَوْمُ وارْتَحَلوا

٣٧٦- مخالِفاً فِعْلَ أَهْلِ الشِّرْكِ قد رَحَلوا ... بعد الطُّلُوعِ لِشَمْسٍ لِلْوَغَى تَصِلِ[٣]

٣٧٧- وإنّما قَطَعَ المختارُ تَلْبِيَةً ... لمّا رَمَى جَمْرَةً كُبْرَى لها زَجَلِ

٣٧٨- نَحْرٌ وَحَلْقٌ وثَوْبُ المرءِ يَلْبَسُهُ ... وبالزِّيارةِ حَقُّ الزَّوْجِ يَكْتَمِلِ[١]

٣٧٩- هذا هو الهَدْيُ رَبُّ العَرْشِ أَلْهَمَهُ ... خَيْرَ البَرِيَّةِ حَتّى الحَشْرِ يُمْتَثَلِ

٣٨٠- الحَجُّ لِلْبَيْتِ عادَ اليومَ سِيرَتَهُ ... لِمَنْ تَأَخَّرَ أو في حَقِّ مَنْ عَجِلوا

٣٨١- في سورة الحَجِّ قد بانت معالِمُهُ ... كما يَحُجُّ خَلِيلُ اللهِ والأُوَلِ

٣٨٢- واليوم أحمدُ أَدَّى الحَجَّ مُمْتَثِلاً ... لِلْآيِ جاءَ بها وَحْيٌ بِهِ الطُّوَلِ[٢]

٣٨٣- بعد الزِّيارَةِ لِلْبَيْتِ الحرامِ أَتَى ... خيرُ الوَرَى لِمِنًى في غارِها النُّزُلِ

---

[٣] كان العرب قبل الإسلام يدفعون بعد طلوع الشّمس ويقولون: أَشْرِق ثبير كيما نُغير. وثبير: جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذّاهب إلى منى. أي كيما نقرب من التّحلّل فنتوصّل إلى الإغارة. والوغى: الحرب.

[١] أعمال أيّام النّحر وترتيبها سنّة.رمي الجمرة، الذّبح، وحلق الشّعر. وهذا هو التّحلّل الأوّل الّذي يحلّ به كلّ شيءٍ إلّا النّساء. وبطواف الإفاضة أو الزّيارة أي زيارة البيت الحرام يتمّ التّحلّل الثّاني الّذي يحلّ به كلّ شيءٍ حَتّى النّساء.

[٢] السّبع الطُّوَل من القرآن سورة البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة معاً وقيل يونس.

٣٨٤- بِالقُرْبِ من مَسْجِدٍ لِلْخَيْفِ يَسْكُنُهُ وآلُــهُ الطّيّبُــونَ السّــادَةُ النُّبُــل[٣]

٣٨٥- وحينمــا كــان خــيرُ الخَلْــقِ ينزِلُــهُ بِسُــورَةِ النَّصْــرِ وَحْــيُ اللهِ يَتَّصِــل

٣٨٦- علــى الصِّــحابِ رســولُ اللهِ رَتَّلَهــا غــداةَ شــابَ لَهُــمْ إذْ رُتِّلَــتْ خُصَــل[٤]

٣٨٧- في سُــورَةِ النَّصْــرِ جــاءَ الــوَحْيُ يُخْــبِرُهُ بِأَنَّــهُ عــن قريــبٍ ســوف يَرْتَحِــل[٥]

٣٨٨- فــإنّ مَعْــنَى كَمــالِ الــدّينِ يَسْــبِقُهُ تَمــامُ نُعْمَــى ونَصْــرٍ ســوف تَنْتَقِــل[٦]

٣٨٩- صِــحابُ أحمــدَ لمّــا الآيُ قــد نَزَلَــتْ عَــلا نَحِيــبُهُمُ في صَــوْتِهِمْ صَــحَل

٣٩٠- مــا كــان يَخْفَــى عليهم ذاك مُــذْ نَزَلَــتْ آيٌ بمائــــدةٍ بِالنَّصْــــرِ تَكْتَمِــــل

٣٩١- وبعــد أن أَكْمَــلَ المختــارُ حِجَّتَــهُ وَوَدَّعَ البَيْــتَ نادَى ســوف أَرْتَحِــل[٧]

٣٩٢- بِفَضْــلِ رَبِّــكَ دِيــنُ اللهِ يَكْتَمِــلُ بِحِجَّــةِ المصــطفى والقَــوْلُ والعَمَــل

٣٩٣- وبعــد أن عــادَ خَيْــرُ الخَلْــقِ كلّهــمُ إلى المدينــةِ بانَ الضَّــعْفُ والكَلَــل

٣٩٤- أَوْحَــى المليــكُ لِخَــيْرِ الخَلْــقِ كُلِّهِــمُ بأن يــزور بَقِيعــاً والــدُّجَى ظُلَــل[١]

٣٩٥- مَضَــى الرّســولُ لِفِعْــلِ الشَّــيْءِ يَأْمُــرُهُ بِــهِ المليــكُ ودَمْــعُ العَــيْنِ يَنْهَمِــل

٣٩٦- دَعــا لَهُــمْ وبِفَضْــلِ اللهِ هَنَّــأَهُمْ إذْ قَــدْ مَضَــوْا قَبْــلَ وَقْــتٍ كُلُّــهُ عِلَــل

٣٩٧- قــد أَقْبَلَــتْ فِــتَنٌ كاللَّيْــلِ يَتْبَعُهــا في إثْرِهــا فِــتَنٌ كاللَّيْــلِ يَتَّصِــل

٣٩٨- طــالَ الــدُّعاءُ لِأَصْــحابِ البَقِيــعِ وقــد كــانَ الرّســولُ لِجَــوْفِ اللَّيْــلِ يَهْتَبِــل

٣٩٩- وكــانَ في صُــحْبَةِ المختــارِ خادِمُــهُ وقــد رَوَى كيــف خَيْــرُ الخَلْــقِ يَعْتَمِــل

٤٠٠- كانَــتْ زِيارَةُ خَــيْرِ الخَلْــقِ كُلِّهِــمُ مِسْــكَ الخِتــامِ لِقَــوْمٍ قَبْــلُ قــد رَحَلــوا

٤٠١- خَيْــرُ الــوَرَى أحمــدُ المختــارُ وَدَّعَهُــمْ واسْــتَغْفَرَ اللهَ حَــتَّى ثَوْبُــهُ خَضِــل

---

[٣] النُّبل: جمع نبيل.

[٤] خصل: من الشّعر. لأنّ سورة النّصر أومأت إلى قرب وفاة النّبيّ ﷺ.

[٥] يرتحل: يُتَوَفَّى.

[٦] النّعمى: النّعماء.

[٧] أرتحل: أسافر.

[١] البقيع: مقبرة أهل المدينة المنوّرة.

٤٠٢ – أَهْـلَ البَقِيـعِ سَـعِدتُمْ إنّ مَنْـزِلكُمْ عنـد الرّسـولِ رَفِيـعٌ دُونَـهُ زُحَـل
٤٠٣ – أنـتم أَحِبّـاءُ خـيرِ الخَلْـقِ كُلِّهِـمُ أنـتم صَـحابَتُهُ مَـنْ خَطْـبُكُمْ جَلَـل
٤٠٤ – اللهُ يَأْمُـرُ خَيْـرَ الخَلْـقِ كَلِّهِـمُ بِأن يُـوَدِّعَ مـن في الفَضْـلِ قـد رَفَلُـوا
٤٠٥ – عـادَ الرّسـولُ لِبَيْـتِ الأُمّ عائِشَـةٍ وكـان في الـرَّأسِ مـن آلامِـهِ ثِقَـل
٤٠٦ – ظَـلَّ الرّسـولُ يُـؤَدِّي حَـقَّ زَوْجَتِـهِ في يَوْمِهـا حينمـا لِلْبَيْـتِ يَنْتَقِـل
٤٠٧ – وحينمـا كـان خَيْـرُ الخَلْـقِ كُلِّهِـمُ في بَيْـتِ مَيْمُونَـةٍ حَلَّـتْ بِـهِ عِلَـل
٤٠٨ – ظَـلَّ الرّسـولُ يُعـانِي في تَنَقُّلِـهِ لِكَـيْ يُـؤَدِّيَ حَقًّـا كـان يَحْتَمِـل[٢]
٤٠٩ – في كُـلِّ يَـوْمٍ رسـولُ اللهِ يَسْـأَلُ عـن يَـوْمِ الّـتي قَلْبُـهُ يَهْـوَى ويَنْشَـغِل[٣]
٤١٠ – حَـتّى إذا الضَّـعْفُ قـد كـان اسْتَبَدَّ بِـهِ وبانَ أَنَّ رسـولَ اللهِ يَرْتَحِـل
٤١١ – يَسْـتَأْذِنُ المصـطفى في أن تُمَرِّضَـهُ بِنْـتُ الخَلِيـلِ الّـذي المختـارُ يَنْتَخِـل

٤١٢ – جَمِـيعُهُنَّ بَـدا مِـنْهُنَّ مـا سَـعِدَت نَفْسُ النَّـبِيِّ بـه والكُـلُّ قـد جَـذِلُوا[١]
٤١٣ – قـد خَيَّـرَ اللهُ خَيْـرَ الخَلْـقِ كُلِّهِـمُ بـين الخُلُـود بِـدَنْيا شـابَهَا دَخَـل[٢]
٤١٤ – وإِثْرَهـا يُـدْخِلُ الـرّحمنُ جِنَّتَـهُ خَيْـرَ البَرِيَّـةِ لَمّـا يَنْتَهِـي الأَجَـل
٤١٥ – وبَـيْنَ أن يُـؤْثِرَ المختـارُ رُفْقَـةَ مَـنْ حَبـاهُمُ اللهُ نُعْمَـى مالهـا مَثَـل[٣]
٤١٦ – ألـيس أحمـدُ خَيْـرَ المرسـلين وخـا تَمَ النّبيّـين مـن فـاتُوا ومـن فَضُـلوا[٤]
٤١٧ – قـد أَعْلَـنَ المصـطفى مـن فـوق مِنْـبَرِهِ ذاك الخِيـارَ الّـذي قـد خُـيِّرَ الرُّسُـل

---

[٢] يحتمل: يتحمّل ويطيق.

[٣] المقصود أمّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها.

[١] جَذِلوا: فَرِحوا.

[٢] دخل: فساد.

[٣] رُفقة: صحبة، وزناً ومعنى. نُعْمَى: نعماء وخفض ودعة. مَثل: شَبَه.

[٤] فاتوا: سبقوا.

٤١٨ – جَمِيعُهُمْ آثَرَ الجنّاتِ عالِيَةً ... مِنْ فوقِها غُرَفٌ من تَحْتِها عَسَل

٤١٩ – أليس أحمدُ خَيْرَ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... أليس أَحْرَى بِهِ في الجَنَّةِ النُّزُل

٤٢٠ – أليس آياتُ هذا الدّينِ قد وَضَحَتْ ... أليس بِالحَجِّ دِينُ اللهِ يَكْتَمِل

٤٢١ – أليس أحمدُ قد أدَّى أَمانَتَهُ ... بِذاك يَشْهَدُ مَنْ في الحَجِّ قد سُئِلوا

٤٢٢ – وذلك الحَشْدُ لم يُشْهَدْ لَهُ مَثَلُ ... حَتَّى تُوُفِّيَ ذاك الفارِسُ البَطَل

٤٢٣ – مِنْ فوق مِنْبَرِهِ قد كان أَعْلَنَها ... بِأَنَّهُ لِدُخُولِ الجَنَّةِ العَجِل

٤٢٤ – ضَجَّ الصَّحابَةُ من هَوْلِ الّذي سَمِعُوا ... فِداؤُهُ كُلُّهُمْ لو يَنْفَعُ البَدَل

٤٢٥ – وحينما كان خَيْرُ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... في بَيْتِ عائِشَةٍ والأَهْلُ قد وَصَلوا

٤٢٦ – وفي الصَّلاةِ يُؤُمّ القَوْمَ سَيِّدُهُمْ ... بِأَمْرِ أحمد فالصِّدّيقُ يَعْتَمِل

٤٢٧ – وذاعَ في النّاس ماالمختارُ أَعْلَنَهُ ... مِنْ فَوْقِ مِنْبَرِهِ فالموتُ مُحْتَمَل

٤٢٨ – لم يَقْوَ أَنْصارُ خَيْرِ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... على اسْتِماعِ الّذي مِنْ أَجْلِهِ ذَهِلوا

٤٢٩ – لقد أطافُوا بِبَيْتِ اللهِ مَسْجِدِه ... وبَيْتِهِ وَعَوِيلُ القَوْمِ مُتَّصِل[٥]

٤٣٠ – عَمُّ الرّسولِ أَتَى المختارَ يُنْبِئُهُ ... بِحالِ أَنْصارِهِ فالدَّمْعُ مُنْهَمِل

٤٣١ – لقد تَأَثَّرَ خيرُ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... بِحالِ أَنْصارِهِ فالقومُ قد ذَبَلوا

٤٣٢ – لِذا تَهَيَّأ كي يَلْقى بِمَسْجِدِه ... جُموعَ مَنْ مَوْتُهُ خافُوا وماحْتَمَلوا

٤٣٣ – مَضَى الرّسولُ على العَبّاسِ مُتَّكِئاً ... وزَوْجِ واحِدَةٍ أَبْناؤُها كَمُلوا[١]

٤٣٤ – حَتّى أَتَى مِنْبَراً قد كان يَصْعَدُهُ ... لكنّهُ اليومَ صَعْبٌ ليس يُحْتَمَل

٤٣٥ – في أَصْلِ مِنْبَرِهِ قد كان مَقْعَدُهُ ... وقد بَدا بِلِسانِ المصطفى ثِقَل

٤٣٦ – أَثْنَى الرّسولُ على الرّحمنِ خالِقِهِ ... إليه يَرْجِعُ من فاتُوا ومن نَكَلوا[٢]

٤٣٧ – وذَكَّرَ النّاسَ أنّ النّاسَ مَرْجِعُهُمْ ... إلى مَلِيكِهِمُ فَلْيَصْلُحِ العَمَل

---

[٥] مسجده: مسجد النّبيّ ﷺ.

[١] زوج واحدة: علي رضي الله تعالى عنه زوج فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي الوحيدة الباقية على قيد الحياة من بنيه عليه الصّلاة والسّلام.

[٢] فاتوا: فاقوا وتقدّموا. نكلوا: جبنوا وتأخّروا.

٤٣٨- وأنّ سُـنَّةَ رَبِّ العَـرْشِ واحِـدَةٌ ... ولـيس يَخْـرُجُ مـن ذي السُّـنّةِ الرُّسُـل

٤٣٩- كُـلُّ النَّبِيّـينَ قـد أَدَّوْا رِسـالَتَهُمْ ... وحينمـا قـد دَعـاهُمْ رَبُّهُـمْ عَجِلـوا

٤٤٠- ولـيس أحمـدُ إلّا حَلْقَـةً وُصِـلَتْ ... بالمُرْسَـلِينَ بِـهِ كـانوا قـد اكْتَمَلـوا

٤٤١- وكُـلُّ ماقـد جَـرَى لِلسّـابِقِينَ لـه ... عليـه يَجْـرِي وأَمْـرُ اللهِ يُمْتَثَـل

٤٤٢- وكُـلُّ نَفْـسٍ لِطَعْـمِ المَـوْتِ ذائِقَـةٌ ... وكُلُّكُـمْ لاحِـقٌ بِي إن أَتَـى الأَجَـل

٤٤٣- دَعـا الرّسـولُ لِقَتْلَـى اليـومِ مـن أُحُـدٍ ... بِرَحْمَـةِ الله تَغْشـاهُمْ وتَنْهَمِـل

٤٤٤- ولِلّـذين مِنَ الأَوْطانِ قـد خَرَجُـوا ... وهـاجَرُوا في سَـبِيلِ اللهِ واعْتُقِلـوا

٤٤٥- أَوْصَى عليهم ووَصّاهُمْ بِبَعْضِهِمُ ... علـيهمُ أُمَّـةُ الإِسْـلامِ تَتَّكِـل

٤٤٦- وَحَظُّ أَنْصارِهِ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ ... في حُسْـنِ صُـحْبَتِهِمْ بُلَّـتْ لَـهُ المُقَـل

٤٤٧- أَثْنَى الرّسولُ عليهمْ بالّذي فَعَلوا ... بالـرَّغْمِ مـن فَقْـرِهِمْ لكـنَّهُمْ بَـذَلوا

٤٤٨- كُـلُّ الّـذي يَلْـزَمُ الأَنْصارَ قـد فَعَلـوا ... وعـن حُقُـوقِهِمُ الأَنْصـارُ قـد غَفَلـوا

٤٤٩- أَوْصَى الرّسولُ بِهِـمْ خَيْراً فَمُحْسِـنُهُمْ ... يُقـال عَنْـهُ أَتَـى مـا قـد أَتَـى الأُوَل

٤٥٠- ومَـنْ أَساءَ تُقالُ العَثْـرَةُ اتَّصَلَتْ ... بِـهِ فَبِطَبْـعِ العامِـلِ الزَّلَـل[1]

٤٥١- أَوْحَى المليكُ إلى المختارِ كَوْكَبَةً ... مـن مُعْجِـزاتٍ بِظَهْـرِ الغَيْـبِ تَتَّصِـل

٤٥٢- أَنْصارُ أحمـدَ دون النّـاسِ كُلِّهِـمُ ... تَقِـلُّ أَعْـدادُها دَوْمـاً وتَنْعَـزِل

٤٥٣- وَسَـوْفَ تَلْقَـوْنَ إيثـاراً لِغَـيْرِكُمُ ... عَلَـيْكُمُ فَبِثَـوْبِ الصَّـبْرِ فاشْـتَمِلوا

٤٥٤- حَتَّى على الحَوْضِ أَلْقاكُمْ بِجَنَّتِهِ ... وعنـد رَبِّكُـمُ المِيـزانُ يَعْتَـدِل

٤٥٥- واللهِ يامَعْشَـرَ الأَنْصـارِ حُـبُّكُمُ ... في أَعْمَقِ القَلْـب قد أَضْحَى له نُزُل[2]

٤٥٦- أُوصِـي بِحُـبِّكُمُ كُـلَّ الّـذين بَكَـوْا ... مـن الخُشُـوعِ وفَضْـلَ اللهِ قـد سَـأَلوا

---

[1] تقال العثرة: من الإقالة بمعنى العفو.

[2] نزل: منزل.

٤٥٧- دَلِيلُ إيمانِهِمْ مِقْدارُ حُبِّهِمُ ... لَكُمْ وبِقَدْرِ البُغْضِ هم سَفَلوا

٤٥٨- واللهَ رَبِّيَ أَدْعُو رَحْمَةً وَسِعَتْ ... وبالبَنِينَ وبالأَحْفادِ تَتَّصِل

٤٥٩- أَقُولُ قَوْلِيَ ذا واللهُ يَغْفِرُ لي ... ولِلّذين عن الإيمان ماعَدَلوا[٣]

٤٦٠- عادَ الرّسولُ على الشَّخْصَيْنِ مُتَّكِئاً ... قد عَصَّب الرّأسَ مِمّا فيه يَشْتَعِل[٤]

٤٦١- وذاك آخِرُ يَوْمٍ زارَ مَسْجِدَهُ ... فيهِ الرّسولُ وفيه الدُّرُّ يُرْتَجَل

٤٦٢- عادَ الرّسولُ إلى بَيْتٍ لِعائِشَةٍ ... حَيْثُ السَّكينَةُ حَيْثُ الوِرْدُ والعَلَل[٥]

٤٦٣- خَيْرُ الوَرَى ضَعْفُهُ بِالبَيْتِ يُلْزِمُهُ ... فليس يَقْوَى إلى المِحْرابِ يَنْتَقِل

٤٦٤- خَيْرُ الوَرَى يَأْمُرُ الصِّدّيقَ يَخْلُفُهُ ... على الصَّلاةِ إماماً إنَّهُ الرَّجُل

٤٦٥- وفي صَبِيحَةِ يَوْمٍ كان سَيِّدُنا ... من بعد تَكْبِيرَةٍ بِالأُمِّ يَنْفَعِل[٦]

٤٦٦- إذا الرّسولُ يَراهُ النّاسُ بَيْنَهُمُ ... فكادَ لِلْفَرْحَةِ الأَصْحابُ تَنْفَتِل[١]

٤٦٧- قد ظَنَّ سَيِّدُنا أنّ الرّسولَ أَتَى ... لِكَيْ يكونَ إماماً حينما يَصِل

٤٦٨- وحينما هَمَّ أن يَرْتَدَّ ثَبَّتَهُ ... وعن يَمِينِ أبي بَكْرٍ لَهُ نُزُل[٢]

٤٦٩- أَمَّ الرّسولُ أَبابَكْرٍ وَأَمَّهُمُ ... صِدّيقُهُمْ إنّ هذا مَشْهَدٌ جَلَل

٤٧٠- سُرَّ الصّحابُ لِخَيْرِ الخَلْقِ بَيْنَهُمُ ... ومِنْ أَمانِيهِمُ لو زالتِ العِلل

٤٧١- لكنّ أحمدَ لم تُسْعِفْهُ صِحَّتُهُ ... وجِسْمُهُ كان كالنّيرانِ يَشْتَعِل

٤٧٢- لم يُطْفِئِ الماءُ حَرَّ النّارِ في جَسَدٍ ... كأنَّهُ شَمْعَةٌ في رَأْسِها شُعَل

---

[٣] عدلوا: انحرفوا ومالوا.

[٤] عصَّب الرّأس: شدّة بالعِصابة.

[٥] الوِرد: ورود الماء. العلل: شرب الماء مرّات عديدات.

[٦] سيّدنا: أبوبكر رضي الله تعالى عنه. من بعد تكبيرة: من بعد تكبيرة الإحرام. الأمّ: سورة الفاتحة هي أمّ الكتاب.

[١] تنفتل: تضطرب وتنصرف وينفرط عقدها.

[٢] نزل: منزل وموضع في الصّفّ.

٤٧٣- ورُبَّما نارُ حُمَّى قد بَرَتْ جَسَداً ... قـد أَذْهَبَـتْ وَعْيَـهُ فالأهْـلُ تَنْشَـغِل

٤٧٤- ورُبَّمـا طـالَ هـذا الحـالُ فـاتَّجَهُوا ... إلى دَواءٍ بِـــهِ يَبْـــدُو لهـــم أَمَـــل

٤٧٥- ورُبَّمـا لايُحِـبُّ المصـطفى أَبَـداً ... ذاك الـــدَّواءَ ولكـــن مـــاهي الحِيَـــل

٤٧٦- هـو المُحِـبُّ يُرِيـدُ الخَيْـرَ أَجْمَعَـهُ ... لِحِبِّـــهِ وبِحَسْـــبِ النِّيَّـــةِ العَمَـــل

٤٧٧- طـالَ العَنـاءُ بِخَـيْرِ الخَلْـقِ كَلِّهِـمُ ... وجـاءَ يَـوْمٌ هـو المِيقـاتُ والأَجَـل

٤٧٨- وشـاءَ رَبُّـكَ أنّ اليـوم تَمْلِكُـهُ ... مـن تَمْلِـكُ القَلْـبَ لايُلْفَـى لهـا بَـدَل

٤٧٩- صِدِّيقَةٌ بِنْتُ صِدِّيقٍ فذي سَكَنٌ ... وذا إمـــامٌ بـــه الآمـــالُ تَتَّصِـــل

٤٨٠- عـانَ الرّسـولُ طَـوالَ اللَّيْـلِ مِـنْ أَلَمٍ ... حَـتّى الأَذانِ ففـي جِسْـمِ الهُـدَى كَلَـل

٤٨١- نادَى بِـلالٌ وأَمَّ الصَّـحْبُ مَسْـجِدَهُمْ ... يَـــؤُمُّهم مَـــنْ رســـولُ اللهِ يَنْتَخِـــل[٣]

٤٨٢- مُنَى الصّحابَةِ لو أَنَّ الرّسولَ أَتَى ... مـا كـان قَبْـلُ أَتَـى فالعِقْـدُ مُكْتَمِـل[٤]

٤٨٣- كَـأَنَّ أحمـدَ يَنْـوِي الشَّـيْءَ يَفْعَلُـهُ ... بالْأَمْـسِ لـو لم يكـن في جِسْـمِهِ ثِقَـل[٥]

٤٨٤- وحِينمـا أَمَّهُـمْ صِـدِّيقُ أُمَّتِـهِ ... كـان الرّسـولُ بِبَيْـتِ الحِـبِّ يَعْتَمِـل

٤٨٥- وإذ تَأَكَّـدَ أنّ الضَّـعْفَ يَمْنَعُـهُ ... مـن التَّحـرُّكِ لـو قـد شـاءَ يَنْتَقِـل

٤٨٦- فـإنّ أَحْمَـدَ والصِّـدِّيقُ مُجْتَهِـدٌ ... يُرَتِّـل الآيَ قـد بُلَّـتْ لهـا المُقَـل

٤٨٧- لَيَرْفَعُ السِّتْرَ عن وَجْهٍ بَدا قَمَراً ... وقـد تَبَسَّـمَ والأَمْطـارُ تَنْهَمِـل[١]

٤٨٨- شُكْراً لِمَوْلاهُ رَبِّ العَرْشِ خالِقِهِ ... مَـنْ خَصَّـهُ بِنَجـاحٍ مالَـهُ مَثَـل

٤٨٩- هو الرّسولُ الّذي مَوْلاهُ أَكْرَمَهُ ... بِدْوْلَـــةٍ وبِـــدِينِ اللهِ يَكْتَمِـــل

٤٩٠- هو الرّسولُ الّذي أَرْسَى مَهابَتَهُ ... رَبُّ الأَنامِ وحُبَّـــا مابِـــهِ دَخَـــل

٤٩١- وهـل سَمْعْتَ وخَيْـرُ الخَلْـقِ في مَـرَضٍ ... بِأَنَّ أعـــداءَهُ باتَـــتْ لهـــم حِيَـــل

---

[٣] ينتخل: يختار. والمراد أبوبكر رضي الله تعالى عنه.

[٤] فالعقد مكتمل: فعقدهم يكتمل به ﷺ.

[٥] أي كأنّه ﷺ ينوي اليوم فعل الشّيء الّذي فعله بالأمس.

[١] الأمطار: المراد بها الدّموع.

٤٩٢- هـي الأُسـودُ يَخـافُ الكُـلُّ بَطْشَـتَها فَكَيْـفَ والشِّـبْلُ أَنْيـابٌ لَـهُ عُصُـل[٢]

٤٩٣- أُســامَةٌ بِيَــدِ المختــارِ رايَتُــهُ يَشُــدُّها وكِبــارُ الصَّــحْبِ تَمْتَثِــل[٣]

٤٩٤- إذا تكونُ يَمِينُ المصطفى عَقَدَتْ لِرايَــةٍ ســوف تَمْضِــي ريثمــا تَصِــل

٤٩٥- في جَيْشِ ذا الشِّبْلِ آسادٌ لها خَضَعَتْ آنافُ أَعْــدائِهِمْ إذْ شــابَها وَحَــل

٤٩٦- هُمُ الكِبارُ من الأَصْحابِ من فَضُلُوا جمــيعهمْ لِفَــتَى الفِتْيــانِ مُمْتَثِــل

٤٩٧- أَبُو أُسامَةَ في المَيْدانِ قد لَحِقَتْ بِرَبِّــهِ رُوحُــهُ في القَــوْمِ مــانَكَلوا[٤]

٤٩٨- هـو الرّسولُ يُولِّي الشِّبْلَ قد بَرَزَتْ أَنْيابُــهُ وبَــدا في المِخْلَــبِ المَيَــل[٥]

٤٩٩- كي يَأْخُذَ الثَّأْرَ مِنْ أَعْداءِ مِلَّتِهِ إن لم يُنِيبُــوا إلى البــاري ويَمْتَثِلــوا

٥٠٠- وقد تَأَخَّرَ ذاك الجَيْشُ مُذْ هَجَمَتْ على الرّسولِ جُيُوشُ السُّقْمِ والعِلَل

٥٠١- وهاهو المصطفى في البَيْتِ إذ عَجَزَتْ عــن حَمْلِــهِ رِجْلُــهُ بِالزَّحْــفِ يَنْتَقِــل

٥٠٢- قد اكْتَفَى خَيْرُ خَلْقِ الله كُلِّهِمُ بِرَفْــعِ سِــتْرٍ فهــذا البَــدْرُ مُكْتَمِــل

٥٠٣- وقد تَبَسَّمَ خَيْرُ الخَلْقِ مُذْ وَقَعَتْ على المصــلِّين عَــيْنٌ دَمْعُهــا هَطِــل

٥٠٤- كــادَ المُصَــلُّون لمّــا لاحَ قائِــدُهُمْ يكــونُ مــنهم لِفَــرْطِ الفَرْحَــةِ الخَبَــل

٥٠٥- أَشــارَ خــيرُ عِبــادِ اللهِ كُلِّهِــمُ لَهُــمْ أن أَتِمُّــوا جَــلَّ مــاعَمِلوا

٥٠٦- أَثْنَى الرّسولُ على المولَى فَأُمَّتُهُ صَــلاةَ فَجْــرٍ تُؤَدِّيهــا وتَهْتَبِــل

٥٠٧- هي الصَّلاةُ عِمادُ الدِّينِ مَنْ حَرَصُوا على الأَداءِ لها لِلْخَــيْرِ قــد وَصَــلوا

٥٠٨- يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ المختارَ مُبْتَسِماً بِأَنَّــهُ البَــدْرُ لاسُــحْبٌ ولاكِلَــل

٥٠٩- أو أَنّهُ صَفْحةٌ من مُصْحَفٍ نُشِرَتْ أو أَنّــهُ الشَّــمْسُ منهــا ضَــوْؤها يَصِــل

٥١٠- أكــان أحمــدُ إذْ يَرْنُــو يُــوَدِّعُهُمْ وكُلُّهُــمْ خاشِــعٌ لِلهِ مُبْتَهِــل[١]

---

[٢] الشّبل: أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما. عصل جمع أعصل، أي معوّج في صلابة.

[٣] المراد أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه.

[٤] أبو أسامة: زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه شهيد مؤتة.

[٥] الميل، بفتح الياء: الميل، بسكون الياء، وهو دليل القوّة.

[١] أي أكان النّبيّ ﷺ يودّعهم إذ ينظر إليهم.

٥١١- البِشْـرُ غـامِرُهُ الضَّـعْفُ شـامِلُهُ والحَمْـــدُ لِلهِ لِلنَّعْمـــاءِ مُتَّصِـــل
٥١٢- اللهُ أَكْرَمَــهُ مــن قَبْــلُ وَفَّقَــهُ إذا يُصَــلِّي فــلا ضَــعْفٌ ولاكَلَــل
٥١٣- واليــومَ بارِئُــهُ بِالضَّــعْفِ آثَــرَهُ لِكُــلِّ ماقــد قَضَــى الــرّحمنُ يَمْتَثِــل
٥١٤- قد واصَلَ الصَّحْبُ في كَرْبٍ صلاتَهُمُ فــإنّ أحمــدَ بالعَيْنَــيْنِ يَتَّصِــل
٥١٥- أكــان أحمــدُ بالعَيْنَــيْنِ وَدَّعَهُــمْ إِذْ أَنْــزَل السِّــتْرَ هــل مَعْنــاهُ قــد عَقَلــوا
٥١٦- إنّ المُحِــبَّ بَطِــيءُ الفَهْــمِ إِذْ عَلِقَــتْ بِمَــنْ يُحِــبُّ دواعٍ عَكْسُــها الأَمَــل رَأْسُ الرّســولِ كمــا لــو أَنّهــا جَبَــل
٥١٧- عادَ الرّسولُ لِمأْواهُ وقد ثَقُلَتْ في حِجْرِ مَنْ يَصْطَفِيها القَلْبُ مُدَّخل[٢]
٥١٨- ودارَتِ الــدّارُ بِالهــادِي وكــانَ لَــهُ إذا الحيــاةُ انْتَهَــتْ أو قــد دَنا الأَجَــل
٥١٩- المَــوْتُ كُرْبَتُــهُ تَشْــتَدُّ وَطْأَتُهــا ونَحْرِهــا وبَــدا في رَأْسِــهِ ثِقَــل[٣]
٥٢٠- كان الرّسولُ بِسَحْرِ الأُمِّ عائِشَةٍ عــن الوُجُــود فَعَــنْ دُنْيــاهُ يَنْتَقِــل
٥٢١- وغاب أحمــدُ خيرُ الخَلْــقِ كُلِّهِــمُ تَكَــرَّرَ إِذْ شَمْــسُ الضُّــحَى شُــعَل
٥٢٢- لقد تَكَرَّر ذا بعد الصَّلاةِ كما وَأُمُّنــا بَــرَّةٌ بِالــزَّوْجِ يَرْتَجِــل
٥٢٣- حَتَّى إذا حَلَّ وَقْتٌ لِلرَّحِيلِ ضُحَى بِــهِ مــن قَــدِيمٍ إنّــهُ العَجِــل
٥٢٤- أَصْغَتْ إِلَيْهِ يقولُ الشَّيْءَ أَخْبَرِها

٥٢٥- يُرِيدُ مَوْلاهُ في الجنّاتِ قد حَسُنَتْ حَيْــثُ الرَّفِيــقُ بِــهِ الــرّحمنُ يَحْتَفِــل[١]
٥٢٦- حيث النَّبِيُّونَ قد نالُوا ثوابَهُمُ والصّالِحُون ومن بالصِّدْقِ قد كَمُلوا
٥٢٧- عَلَــيْهِمُ أَنْعَــمَ المَــوْلَى فَــرُفْقَتُهُمْ خَيْــرٌ مــن الــدّارِ فيهــا الكَــرْبُ والعِلَــل
٥٢٨- قــد أَدْرَكَــتْ زَوْجُ خــير الخَلْــقِ كُلِّهِــمُ بِأَنّ جنّــاتِ عَــدْنٍ لِلْهُــدَى بَــدَل
٥٢٩- فهاهو المصطفى يَخْتارُها عَجِلاً كــذلك المُصْــطَفَوْنَ السّــادَةُ الأُوَل
٥٣٠- رُوحُ الرّسولِ مَضَــتْ لِلهِ بارِئِهــا مــا أَبْلَــغَ الــدَّرْسَ لِلْأَحْيــاءِ قــد عَقَلــوا

---

[٢] مدّخل: ملجأ.

[٣] السَّحْر: الرّئة.

[١] أي حيث يوجد الرّفيق الّذي يحتفل به الرّحمن.

٥٣١- خيرُ الورَى زارَهُ مَوْتٌ وَكُرْبَتُهُ ... فكيف نحن وبِالآثامِ نَشْتَمِل

٥٣٢- وكيف نحن وبالتّقصِيرِ نَشْتَهِر ... في جَنْبِ بارِئِنا والوِزْرَ نَحْتَمِل

٥٣٣- يارَبِّ رُحْماكَ وَقْتَ الرُّوحُ قد بَلَغَتْ ... مِنّا الحَناجِرَ إِذْ ضاقَتْ بِنا السُّبُل

٥٣٤- وأنتَ رُحْماكَ كُلَّ الخَلْقِ قد وَسِعَتْ ... ونحن مَن وَحَّدُوا نَدْعُو ونَبْتَهِل

٥٣٥- بِأن يكون لنا منها وقد بَلَغَتْ ... حُلْقُومَنا الحَظُّ مَوْفُورٌ ومُكْتَمِل

٥٣٦- ذُنوبُنا ليس نُحْصِيها فإن مُحِيَتْ ... وبُدِّلَتْ حَسَناتٍ يَنْتَشِي الأَمَل

٥٣٧- وَعَدتَ بالخيرِ من ماتُوا وقد حَسُنَتْ ... أَعْمالُهُمْ أو بَعْدَ تَوْبٍ بُدِّل العَمَل

٥٣٨- ونحن إن كانَتِ الأَعْمالُ قد قَصُرَتْ ... مِنّا وبان علينا الضَّعْفُ والمَلَل

٥٣٩- فإنّ آمالَنا في العَفْوِ قد كَبُرَتْ ... لَعَلَّ مِيزانَنا بِالْعَفْوِ يَعْتَدِل

٥٤٠- أَكْرَمْتَ يارَبِّ مَنْ تابُوا وقد وَصَلُوا ... فَأَكْرِمَنْ ياإلهِي مَنْ بِهِمْ وُصِلوا

٥٤١- الوَيْلُ لِلْقَوْمِ قد أَوْصَدتَ بابَكَ في ... وُجُوهِهِمْ فَلَهُمْ في نارِكَ النُّزُل

٥٤٢- يارَبِّ واجْعَلْ مَصِيرَ المسلمين إذا ... لاقَوْكَ جَنّاتِ عَدْنٍ نَهْرُها عَسَل

٥٤٣- يارَبِّ هَيِّءْ لنا كَأْساً لِنَشْرَبَها ... مِنْ كَفِّ أحمدَ حيث الحَوْضُ والنَّهَل[٢]

٥٤٤- يارَبِّ إنّا جَمِيعاً مِلْؤُنا الأَمَلُ ... في حُسْنِ عَفْوِكَ والحُسْنَى إذا نَصِل

٥٤٥- يارَبِّ صَلِّ على الهادِي وعِتْرَتِهِ ... يارَبِّ سَلِّمْ عليهم مارَسا جَبَل[١]

٥٤٦- وإذْ رَأَتْ أُمُّنا جِسْمَ الرّسولِ هَوَى ... وَرُوحَهُ لِنِداءِ اللهِ تَمْتَثِل

٥٤٧- وصاحَ آلُ رسولِ اللهِ من أَلَمٍ ... حتّى النِّداءِ لِحَشْرٍ مالَهُ مَثَل

٥٤٨- فإنّ زَوْجَةَ خيرِ الخَلْقِ عائِشَةٍ ... لِسِنِّها تَتْرُكُ الهادِي وتَنْتَقِل

٥٤٩- إلى النِّساءِ وقد أَحْدَثْنَ عاصِفَةً ... ومن لَهُ بِوفاةِ المصطفى قِبَل![٢]

٥٥٠- كالبَرْقِ ذاعَ بِأنّ المصطفى رَجَعَتْ ... لِلهِ رُوحٌ لَهُ بِالمَوْتِ تَحْتَفِل

---

[٢] النَّهل: الشّرب الأوّل.

[١] العترة: العشيرة.

[٢] قِبل: طاقة تحتمل.

٥٥١- قد آثَرَتْ مالَدَى المولَى وَحُقَّ لها ... وفَضْـلُ رَبِّي علـى المختـارِ مُنْهَمِـل

٥٥٢- على المَدِينَةِ حَلَّ الحُزْنُ ماعَرَفَتْ ... لـه المدينـةُ مِـثْلاً فَهْـوَ متَّصِـل

٥٥٣- كُلُّ الجَمالِ الّذي من قَبْلُ قد عَرَفَتْ ... مَدِينَـةُ المصـطفى لِلْحُـزْنِ يَرْتَحِـل

٥٥٤- بِهِجْرَة المصطفى الأَحْبابُ قد فَرِحُوا ... وبالوَفـاةِ يَحُـلُّ الغَـمُّ والثَّكَـل

٥٥٥- ولستَ تَلْقَى سِوَى باكٍ وباكِيَةٍ ... كـأنَّهُمْ بعـد مَـوْتِ المصـطفى هَمَـل[٣]

٥٥٦- أو أَنَّهُـمْ غَـنَمٌ في لَيْلَـةٍ عَزَفَـتْ ... بِهـا الـرِّياحُ وسـالَ السَّـهْلُ والجَبَـل

٥٥٧- لكـنّ رَحْمَـةَ ربِّ العَـرْشِ تُـدْرِكُهُمْ ... بِبَيْعَـةِ النّـاسِ لِلصِّـدِّيقِ قـد عَجِلـوا

٥٥٨- أليس ثانِيَ مْنَ في الغارِ قد سَكَنا ... غَـداةَ أَخْـرَجَ خَيْـرَ الخَلْـقِ من عَضَلوا[٤]

٥٥٩- ألم يَـؤُمَّ جُمـوعَ المسـلمين وقـد ... سُـرَّ الرَّسـولُ فهـذا المصـطفى جَـذِل[٥]

٥٦٠- قـال الرّسـولُ مُـرُوهُ فَلْيَـؤُمَّكُمُ ... بِمَسْـجِدِي ورَسـولُ اللهِ مُرْتَحِـل

٥٦١- أمّـا سِـواهُ فَيَـأْبَى ذاكَ بارِئُكُـمْ ... وأُمّـةٌ لِرسـولِ الله تَمْتَثِـل

٥٦٢- يَرْضَـى الرّسـولُ أبا بَكْـرٍ يَـؤُمُّهُمُ ... ولـيس يَرْضـاه لَلـدُّنيا بهـا دَخَـل![١]

٥٦٣- ألـيس أحمـدُ يَأْبَى أن يَـؤُمَّهُمُ ... إلّا أبـوبَكْرٍ الصِّـدِّيقُ فـامْتَثَلوا

٥٦٤- أليس يَأْمُـرُ إذْ صَـلَّى بهـم رَجَـلٌ ... بأن يُصَـلِّي أخـرى الخَـلُّ يُنْتَخَـل[٢]

٥٦٥- بِأَمِـرِ أحمـدَ يأتي الخِـلُّ عَيَّنَـهُ ... لِكَـيْ يُعِيـدَ صَـلاةَ الفَجْـرِ يَشْـتَعِل[٣]

٥٦٦- أليس يَغْضَبُ خيرُ الخَلْقِ كلّهمُ ... غَـداةَ كَبَّـرَ في مِحرابِـهِ البَـدَل[٤]

---

[٣] الهمل: المهمل المتروك بلا رعاية ولاعناية.

[٤] عَضَلوا: ضيّقوا عليه ﷺ وحالوا بينه وبين مراده.

[٥] جَذِل: فَرِح.

[١] دخل: فساد. المعنى من باب أولى يرضاه خليفةً للمسلمين.

[٢] الخلّ: أبوبكر الصّدّيق رضي الله تعالى عنه.

[٣] يشتعل الفجر: يبزغ نوره حتّى يجيء أبوبكر رضي الله تعالى عنه ويؤمّ النّاس مرّةً أخرى.

[٤] البدل: عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه.

٥٦٧- ومـن يُجـارِي أبابَكْـرٍ إذا ذُكِـرَتْ لــه الفَضــائِلُ منهــا الغــارُ مُــدَّخل[٥]

٥٦٨- اللهُ في الذِّكْرِ قد أَثْنَى عليه وقد كــان الــوَزِيرَ لِطــهَ حــين يَرْتَحِــل[٦]

٥٦٩- لايَنْطِقُ المصطفى من نَفْسِهِ أبداً وَحْــيٌ مــن اللهِ بالمختــارِ يَتَّصِــل

٥٧٠- صَلَّى عليكَ إلهُ العَرْشِ ماهَتَفَتْ وُرْقُ القَطــا وثَغــا في رَوْضَــةٍ حَمَــل[٧]

تَمّت

ضُحَى يوم الأحد

غرّة شهر رجب ١٤٢٨هـ

مكّة المكّرمة

---

[٥] الغار: غار ثور. مدّخل ملجأ.

[٦] يرتحل يهاجر. وقد أشارت الآية الكريمة الأربعون من سورة التّوبة المدنيّة الكريمة إلى النّبيّ ﷺ وإلى أبي بكرٍ رضي الله تعالى عنه وهما في الغار.

[٧] ثَغا: صوّت وصاح. حمل: صغيرٌ من الضَّأْن.